

سقوط مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط

بالأندلس ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م

الدكتور

محمد عطالله سالم الخليفات

المملكة الأردنية الهاشمية

كلية معان الجامعية - جامعة البلقاء التطبيقية

makhliifat2020@yahoo.com

**The fall of the city of Toledo, the base of the central gap in
Andalusia 478 A.H / 1085 A.D**

Dr.

Mohammad Atallah Salem Al - Khliifat

Ma'an University College - Al- Balqa' Applied University - HKJ

Abstract:

This study deals with the details of the fall of one of the most important Islamic cities in Andalusia by the hands of the Christians, which is the city of Toledo, the base of the central gap in Andalusia. It dealt with the definition of Toledo geography and the importance of its strategic location, with a brief overview of the city's history from the Islamic conquest to the collapse of the Umayyad Caliphate in Andalusia, and the establishment of the Kingdom of Bani Dhul Nun in it.

The study focused on tracking the emergence and development of the relationship that linked the rulers of the AL- Dhul Nunian dynasty with the Castilian king Alfonso VI, highlighting how the city was besieged and fell, and the position of the kings of sects on that

Keyword : Downfall , Toledo , Al-Andalus , Banu Dhul – Nun , kings of the sects

المُلخَص :

تعالج هذه الدراسة تفاصيل سقوط إحدى أهم المدن الإسلامية في الأندلس بيد النصارى، وهي مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس. فتناولت التعريف بجغرافية طليطلة وأهمية موقعها الاستراتيجي، مع إعطاء لمحة موجزة عن تاريخ المدينة منذ الفتح الإسلامي حتى انهيار الخلافة الأموية في الأندلس، وقيام مملكة بني ذي النون فيها.

وركزت الدراسة على تتبع نشوء وتطور العلاقة التي ربطت حكام الأسرة الذنونية بالملك القشتالي ألفونسو السادس، مع تسليط الضوء على الكيفية التي تم فيها حصار المدينة وسقوطها، وموقف ملوك الطوائف من ذلك.

الكلمات المفتاحية : سقوط – طليطلة – الأندلس – بنو ذي النون- ملوك الطوائف .

المقدمة:

أدى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ٤٢٢هـ / ١٠٣١م، إلى انقسام الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة، عرفت باسم دويلات الطوائف أو ملوك الطوائف. ورغم اتصاف غالبية ملوك هذه الدول بالضعف وسوء الرأي وتغليب المصالح الذاتية على مصالح الأمة، فإنهم عهدوا إلى تقليد الخلفاء العباسيين في حياتهم وألقابهم ونعرتهم الخلافة، ولم يترددوا في سبيل الحفاظ على سلطانهم، ومحاولة انتزاع ما بيد بعضهم البعض من معازل وحصون، من الغدر ببعضهم، أو التحالف مع العدو النصراني المتربص بهم جميعاً.

وكانت مملكة طليطلة التي آل حكمها خلال هذه الفترة إلى أسرة بني ذي النون البربرية، تمثل إحدى تلك الممالك التي شغلت نفسها ومنذ أيامها الأولى في الصراع مع جيرانها المسلمين في سرقسطة وإشبيلية وغيرها، طمعاً في توسيع أحوازها وتحصيل المزيد من المال والجاء. ولما عجز ملوك بني ذي النون عن حسم صراعاتهم مع جيرانهم بأنفسهم، لجأوا إلى الاستعانة بملوك النصارى وخاصة القشتاليين، لقاء دفع الإتاوات والتنازل المذل عن الحصون والقلاع الإسلامية، وقد دفعت طليطلة ثمن هذه السياسة الضعيفة باهظاً؛ إذ فقدت مع مرور الوقت معظم قلاعها وحصونها الخارجية التي كانت بمثابة خطوط الدفاع الأمامية عنها، مما سهل ذلك حصارها وعجل في سقوطها.

وجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء بالعرض والتحليل للكيفية التي سقطت فيها مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس، بيد الملك القشتالي ألفونسو السادس عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، وموقف ملوك الطوائف من هذا السقوط الذي أعاد طليطلة إلى النصرانية بعد أن خضعت للحكم الإسلامي قرابة ثلاثمائة وست وثمانين سنة.

أولاً- الموقع والأهمية:

تقع مدينة طليطلة (Toledo) في مكان يتوسط بلاد الأندلس، فهي تقع بين المشرق والشمال من قرطبة^(١)، على بعد تسع مراحل عنها^(٢)، وتبعد عن بلنسية^(٣) مسافة تسع مراحل، ومنها إلى مدينة المرية^(٤) على البحر المتوسط تسع مراحل أيضاً، كما أنها تقع على نهر التاجا (Tajo) الذي يحيط بها من ثلاث جهات، وهو نهر عظيم يقارب في

الكبر نهر دجلة، ينبع من جبال شرقي الأندلس ويصب في المحيط الأطلسي، ويحيط بمدينة طليطلة سبعة جبال كلها عامرة وأهلة بالسكان^(٥).

ويذكر ابن غالب أنها إحدى قواعد الأندلس الأربع^(٦)، وأنها قديمة البناء، حيث يعود تاريخ بنائها إلى زمن الإغريق، وأصل أسمها لاتيني، جاء من كلمة (تولاطو) التي تعني فرح ساكنوها^(٧)، أما العرب فقد كانوا يطلقوا عليها اسم مدينة الأملاك لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم^(٨). وقد شيدت طليطلة على جبل عال^(٩) إلى الجنوب من جبل الشارات^(١٠)، وهذا ما جعل منها مدينة في غاية التحصين والمنعة، ومن هنا أتت أهميتها الاستراتيجية.

وكان لطليطلة من عظيم الخيرات وتنوع موارد الإنتاج ما فاقت به كافة جهات الأندلس، فالأشجار تحيط بها من كل جهة، وفواكهها لا يوجد لها مثل في الطعم واللون^(١١)، وزعفرانها هو الذي يتجهز به إلى الآفاق، وحنطتها في غاية الجودة، لا تتغير ولا تسوس على مر السنين^(١٢).

وعرفت طليطلة وجهاتها خلال الحكم الإسلامي للأندلس باسم الثغر الأوسط، لتوسطها بلاد الأندلس من جهة، ولتأخمها حدودها بمحدود الممالك النصرانية من جهة أخرى، وكانت تشمل على أعمال كثيرة وقرى عديدة، أهمها: مدينة سالم^(١٣)، ووادي الحجارة^(١٤)، وقونية^(١٥)، وطلبيرة^(١٦)، وترجالة^(١٧) وغيرها. وكانت تمتد على مساحة كبيرة بلغت حوالي خمس مساحة الأندلس^(١٨). وقد كانت حدودها فترة حكم دول الطوائف للأندلس؛ أي قبيل سقوطها بيد الأسبان، تمتد من حدود مملكة بطليوس^(١٩) غرباً، إلى مملكة سرقسطة^(٢٠) شرقاً، ويحدها من الشمال مملكة قشتالة^(٢١) القديمة، ومن الجنوب مملكة غرناطة^(٢٢).

ثانياً- لمحة موجزة عن تاريخ مدينة طليطلة:

أ- طليطلة منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية بالأندلس:

كانت مدينة طليطلة عندما عبرت جيوش الفتح الإسلامي إلى الأندلس، عاصمة مملكة القوط الغربيين في أسبانيا، الذين كانوا قد اتخذوها عاصمة لهم منذ القرن السادس الميلادي، وكانت آنذاك مدينة عامرة فيها الحصون والقلاع والقصور والأديرة، وكانت مركز الدين والسياسة، وكان ملك الأسبان عام الفتح الملك (رودريك)، الذي

عرف عند العرب باسم (لذريق)، وهو قوطي الأصل تولى الحكم عام ٧٠٩م^(٢٣)، وفي عهد لذريق هذا أستطاع المسلمون بقيادة طارق بن زياد^(٢٤) فتح طليطلة، حيث بعد أن انتصر طارق على لذريق في معركة وادي لكة سنة ٩٢هـ/٧١١م، هرب الأسبان إلى طليطلة فلحق بهم طارق، وعندما وصلها وجدها خالية، وذلك أن أهلها هربوا منها عندما علموا بقدوم جيوش المسلمين إليها، فدخلها طارق سنة ٩٣هـ/٧١١م دون مقاومة تذكر، وأبقى بها بعض رجاله ومضى هو خلف أهلها الهاربين، فاقتحم أرض جليقية^(٢٥)، فخربها ثم عاد إلى طليطلة^(٢٦).

هذا وقد تراجعت مكانة طليطلة بعد الفتح الإسلامي للأندلس، إذ لم تعد هي العاصمة كما كانت أيام القوط، وإنما حلت مكانها منذ عهد الولاة مدينة قرطبة كمركز لإدارة البلاد^(٢٧)، وعانت مدينة طليطلة خلال عصر الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، من حالة عدم الاستقرار، إذ أغرت حصانة المدينة أهلها فكانوا يكثرون الخلاف وشق الطاعة^(٢٨)، فشهدت المدينة قيام الكثير من الثورات المناهضة للأمويين، والتي استمرت حتى بداية عصر الخلافة الأموية في الأندلس، حيث تمكن الخليفة عبد الرحمن الناصر^(٢٩) (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) من إحكام سيطرته عليها وإخضاعها سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وقام بإصلاح ما أفسدته الثورات فيها^(٣٠).

وبقيت طليطلة بعد ذلك تعيش في حالة من الأمن والاستقرار حتى دب الوهن في أوصال الخلافة الأموية، وبسقوطها سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، عمت الفوضى بلاد الأندلس، وتمزقت إلى أشلاء، وصارت إمارات صغيرة، ودويلات متعددة، عرفت بالتاريخ الأندلسي باسم عصر "ملوك الطوائف"^(٣١)، حيث استقل كل أمير بناحية، وكانت مدينة طليطلة من حصنة بني ذي النون.

ب- طليطلة في ظل حكم بني ذي النون:

١. التعريف ببني ذي النون وتأسيس مملكتهم في طليطلة:

يرجع بني ذي النون في نسبهم إلى قبيلة هواره البربرية^(٣٢)، ويقال أن أصل تسميتهم بـ (ذي النون) جاء من اسم جدهم الذي ينسبون إليه وهو "زنون"^(٣٣) أو "نون"^(٣٤) بن سليمان، الذي حرف مع الزمن ليصبح ذي النون. وتعود أوليات ظهور ذي النون بن سليمان هذا في الأندلس إلى أيام الدولة الأموية، وتحديدًا إلى أيام الأمير محمد بن عبد

الرحمن^(٣٥) (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)، وكان ظهوره واشتهار أمره وبنيه عرضياً دون جهد منه أو عناء، إذ حدث أثناء عودة الأمير محمد من إحدى غزواته للروم أن مرض خصي له من أكابر غلمانه، وكان ذلك أثناء مروره بأرض شنتبرية^(٣٦) موطن ذي النون، فمر على ذي النون بن سليمان، الذي كان آنذاك حاكماً لحصن أقليمش^(٣٧)، وأبقى خصيه عنده حتى يشفى أو يموت، ولحسن حظ ذي النون أن الخصي شفي، فأخذ ذي النون بنفسه إلى دار الإمارة، فسر الأمير محمد بصنيعه، وكافأه بإقراره على البلاد التي تحت يده وجعله كبير قومه، وبقي ذي النون على الطاعة إلى أن توفي، ثم خلفه أولاده وأحفاده على حكم نواحي شنتبرية حتى قيام الفتنة وانهايار الخلافة الأموية^(٣٨).

أما عن وصول بني ذي النون لحكم طليطلة وإقامة مملكتهم فيها، فيرجع ذلك إلى أيام اضطرام الفتنة وانهايار السلطة المركزية في قرطبة مع مطلع القرن الخامس الهجري، ففي الوقت الذي كانت تتهاوى فيه سلطة بني أمية، تمكن أحد زعماء ذي النون وهو عبد الرحمن بن ذي النون من فرض سيطرته على كافة نواحي كورة شنتبرية، ثم أعلن استقلاله بها، فكان عبد الرحمن هذا كما يقول ابن بسام "أول الثوار لمفارقة الجماعة.. وهو كان فرط الملوك في إثثار الفرقة؛ فاقتدى به من بعده، وأموا في الخلاف نهجه"^(٣٩). هذا في الوقت الذي آلت فيه ولاية طليطلة إلى قاضيتها أبو بكر يعيش بن محمد الأسدي^(٤٠)، وكان يساعده في إدارة شؤون المدينة وتسيير أمورها أحد كبار المدينة وهو عبد الرحمن بن متبوة^(٤١)، لكن على ما يبدو أن الخلاف ما لبث أن وقع بينهما، وانتهى بعزل القاضي أبو بكر يعيش سنة ٤١٨هـ / ١٠٢٦م، واعتلاء عبد الرحمن بن متبوة سدة الحكم، وبقي ابن متبوة في حكم طليطلة حتى وفاته، ثم خلفه في ذلك ابنه عبد الملك، الذي خالف سيرة أبيه، وأساء لأهل المدينة، فاضطربت الأمور، وعمت الفوضى، وكان ذلك تزامناً مع اشتهاار أمر عبد الرحمن بن ذي النون وابنه إسماعيل في شنتبرية، فتشاور زعماء طليطلة في أمرهم وأجمعوا على خلع عبد الملك ومراسلة عبد الرحمن بن ذي النون لتولي ملك طليطلة^(٤٢). ولم يكن عبد الرحمن بن ذي النون ليضيع الفرصة فقد استجاب لزعماء طليطلة في الحال وأرسل إليهم ابنه إسماعيل الذي تولى زمام الأمور في المدينة، وأخذ يضبط شؤونها وأحوالها وما اتصلت به من بلاد حتى

استقامت له، وكان ذلك عام ٤٢٧هـ/١٠٣٦م^(٤٣). وبذلك انتقل حكم بني ذي النون من كورة شنتبرية إلى طليطلة، واعتبر هذا التاريخ هو سنة نشأة وتكوين مملكة طليطلة تحت حكم الدولة الذنونية، وكان إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون، الملقب بالظافر، هو المؤسس الحقيقي لهذه المملكة.

2. حكام طليطلة من بني ذي النون:

استمرت طليطلة تحت حكم الأسرة الذنونية قرابة خمسون سنة (٤٢٧-٤٧٨هـ/ ١٠٣٦-١٠٨٥م)، تعاقب على الحكم خلالها ثلاثة حكام، وهم:

١- إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون الملقب بـ "الظافر" (٤٢٧-٤٣٥هـ/ ١٠٣٦-١٠٤٣م):

لمع نجم إسماعيل هذا منذ أيام الدولة العامرية، إذ كان هو ووالده عبد الرحمن من المؤيدين لدولة المنصور بن أبي عامر^(٤٤)، وقد استطاع إسماعيل خلال هذه الفترة من السيطرة على قلعة قونكة (قونكة)^(٤٥)، ثم احتل وأبيه كورة شنتبرية، وعندما انهارت الخلافة الأموية في قرطبة واضطربت أمور طليطلة، استجاب إسماعيل ووالده لنداء استغاثة أهل طليطلة، فتوجه إسماعيل إليهم واستطاع أن يتسلم زمام الأمور في المدينة عام ٤٢٧هـ/١٠٣٦م، بل وأن يجعلها قاعدة للملكه ولأسرته من بعده^(٤٦).

وقد تمكن إسماعيل خلال فترة وجيزة من حكمة أن يمد ملكه شرقاً حتى جنجالة^(٤٧) من عمل مرسية^(٤٨)، واستطاع بحنكته ووفرة عقله ودهائه أن يكسب تأييد أهل المدينة فكان لا يقطع أمراً دون مشورتهم، وخاصة كبار المدينة كأمثال الشيخ أبي بكر بن الحديدي^(٤٩)، كبير الجماعة، الذي كان يحظى بشعبية كبيرة بين أهل طليطلة، فاتخذ إسماعيل ساعده الأيمن لا يقوم بأمر إلا بعد مشورته، فكان له خير معين^(٥٠).

ولعل أهم ما يذكر عن فترة حكم إسماعيل أنه استطاع أن يحافظ على مملكته موحدة بعيدة عن الأخطار النصرانية، وذلك لانشغالهم بصراعاتهم العائلية التي قامت بين أبناء شائجة الثالث^(٥١) على العرش، كما أنه تجنب الاصطدام مع الأمراء الطامحين المجاورين لمملكته، لذلك اتسمت فترة حكمه بالهدوء والاستقرار وإن لم يطل أمد ملكه، إذ توفي سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م^(٥٢). ويلخص لنا ابن بسام سمات حكمه؛ فيقول: "اتفقت له أمور

اتسع بها عمله، وكثرت جبايته وجمعه .. تنقاد إليه دنياه، وتصحبه سعادته فينال صعب الأمور بأهون سعيه .. ولقد أساء من جاء بعده، ذهاباً في الكبر، وتهاوناً بالأمر، وقعوداً عن النصر، واستظهاراً بأحزاب الكفر" (٥٣).

٢- يحيى بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بـ "المأمون" (٤٣٥-٤٦٧هـ / ١٠٤٣-١٠٧٥م):

ورث المأمون عن أبيه حكم طليطلة والمناطق التابعة لها، والتي امتدت شرقاً إلى بلنسية ومملكة سرقسطة، وغرباً إلى حدود مملكة بطليوس، أما جنوباً فورث إلى حدود مملكتي غرناطة وقرطبة، ووصلت حدود مملكته شمالاً إلى المجرى الجنوبي لنهر الدويرو (٥٤). وسار المأمون على نهج وخطة أبيه في تسيير أمور مملكته، والاعتماد على رأي ابن الحديد في ما يواجهه من صعب الأمور (٥٥)، وفي عهده غدت مملكة طليطلة أعظم ملوك الطوائف، وبلغ الترف في بلاطة منتهاه، فبنى القصور ولبس الذهب والدياج، واجتمع عنده من الوزراء والكتاب ما لم يجتمع عند ملك من ملوك الأندلس (٥٦).

وكانت سنوات حكم المأمون التي دامت زهاء ثلاثة وثلاثين سنة مليئة بالحروب والصراعات بينه وبين منافسيه، وخاصة مع سليمان بن هود (٥٧) أمير سرقسطة والشجر الأعلى، ومع المعتضد بن عباد (٥٨) صاحب إشبيلية (٥٩)، والمظفر بن الأفطس (٦٠) صاحب بطليوس. وأول ما وقع النزاع كان مع جاره ابن هود، وكانت مدينة وادي الحجارة الحدودية سبباً للخصام بينهما، فبالرغم من تبعيتها لمملكة طليطلة إلا أن رغبة بعض سكانها بالانضواء تحت راية ابن هود، دفعه لمحاولة انتزاعها من طليطلة، وقد تحقق له ذلك سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م، حيث تمكن بمساعدة أهلها من دخولها، وما كاد خبر هذا الاعتداء يصل للمأمون حتى قامت قيامته وسارع بقواته نحو مدينة وادي الحجارة لاسترجاعها، إلا أنه تعرض لهزيمة قاسية من قبل جيوش سليمان بن هود (٦١).

وبغية الانتقام من ابن هود، لجأ المأمون لطلب المساعدة من فرناندو الأول (٦٢) ملك قشتالة مقابل أن يدفع له إتاوة، فأخذ فرناندو بإرسال سراياه لمهاجمة أراضي ابن هود، فعاثوا فيها فساداً وقتلوا وسبوا (٦٣)، كما رأى المأمون أن مخالفة المعتضد بن عباد ملك إشبيلية قد تجعل منه عوناً له على ابن هود، وأسفرت المراسلات بينهما على إبرام اتفاقية

التحالف، بعد أن اعترف المأمون بالدعوة الهشامية^(٦٤) التي احتضنها ابن عباد، والتي كان قد رفضها المأمون بداية حكمه^(٦٥).

وما أن علم ابن هود بمحالفة المأمون لملك قشتالة، حتى سارع هو الآخر للتحالف معه، بعد أن أرسل إليه الأموال الطائلة والهدايا إغراءً له بمهاجمة أراضي المأمون، ولم يتردد فرناندو بقبول عرض ابن هود، فقام بالإغارة على الأراضي الشمالية لطليطلة وعاث فيها الخراب والدمار^(٦٦). ورد المأمون على تحالف ابن هود مع ملك قشتالة، بمراسلة غرسية^(٦٧) ملك نافارا، واستماله بالأموال، فقام غرسية بالإغارة على أراضي سرقسطة وعاث فيها خراباً ودماراً^(٦٨).

وهكذا ظلت الحرب سجالاً بين طليطلة وسرقسطة، وكان النصاري هم العون والنصرة لكلا الطرفين، ولم تتوقف بينهما إلا بوفاة سليمان بن هود عام ١٠٤٦/٤٣٨م^(٦٩).

غير أن المأمون ما أن انتهى من جبهة ابن هود، حتى فتح على نفسه جبهة جديدة؛ إذ اتجه أولاً لمهاجمة المظفر بن الأفطس في بطليوس، ثم ابن عباد في إشبيلية، ونشبت بينه وبينهم معارك عديدة، لم تسفر عن نتائج يحمد عقابها، إلا أنها استنزفت قوة الجميع^(٧٠).

وحدث في عهد المأمون عام ٤٥٨هـ / ١٠٦٢م، أن توفي فرناندو الأول ملك قشتالة، فثارت الحرب بين أولاده الثلاثة على العرش (شانجة، ألفونسو، غرسية)، وانتهت الحرب الأهلية بانتصار الابن الأكبر شانجة سنة ٤٦٤هـ / ١٠٦٥م، واغتصابه ملك أخوية، فلجأ ألفونسو إلى طليطلة طالباً حماية المأمون، فرحب به المأمون غاية الترحاب، وبقي في ضيافته قرابة تسعة أشهر معزراً مكرماً^(٧١)، وقد دفع المأمون ثمن هذه الضيافة باهظاً، إذ أن ألفونسو ما أن عاد لبلاده وتولى الحكم حتى أخذ يدبر الخطط للاستيلاء على طليطلة، خاصة بعد أن عاين مواطن ضعفها^(٧٢).

وتوفي المأمون سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م في ظروف غامضة^(٧٣)، وذلك بعد أشهر قلائل من استيلائه على قرطبة^(٧٤)، فكان أعظم ملوك الطوائف، وأطولهم عهداً.

3- يحيى بن إسماعيل بن يحيى الملقب بـ "القادر بالله" (٤٦٧-٤٧٨هـ / ١٠٧٤-١٠٨٥م):

خلف القادر جده المأمون في الحكم، وكان فتى حدثاً، قليل الخبرة والتجربة، فاسد الخلق، ضعيف الشخصية، فقد وصفه ابن الكردبوس بقوله "كان ضعيف المنة قليل المعرفة، ربّي في أحجار النساء والدايات، ونشأ بين الخصيان والغانيات، فملك أمره العبيد" (٧٥)، ووصفه ابن سعيد بأنه "كان سيء الرأي، إن حزم لم يعزم، وإن سدى لم يلحم" (٧٦)، وكان ابن بسام الأبلغ في وصفه بقوله "كان إمعة إمرة، أجبن من قبرة" (٧٧). ويبدو أن المأمون كان يعي جيداً ضعف شخصية حفيده القادر لذا أوصاه قبل وفاته أن يعتمد على الوزيرين ابن الحديدي وابن الفرّج (٧٨) في تسيير المملكة وأن لا يسير أمراً دون استشارتهما، وليسهل عليه الأمر قسم أمور الدولة بين هذين الرجلين، فجعل تدبير الأجناد، والنظر في طبقات القواد، إلى سائر الشئون السلطانية، والأعمال الديوانية من اختصاص الوزير ابن الفرّج، بينما أوكل بقية الإصدار والإيراد، والنظر في شئون الرعية وشؤون البلاد، للوزير ابن الحديدي (٧٩).

لكن القادر ما أن استقر على عرش طليطلة، حتى عمد إلى التخلص من وزيره ابن الحديدي، وذلك بعد أن أوغر صدره عليه من حوله من عبيده ومواليه المفسدين بحجة أن حكمه لن يستقيم إلا بقتل ابن الحديدي، وأسند القادر هذه المهمة إلى سجناء جده المأمون، حيث أخرجهم من السجن سراً ففتكوا بابن الحديدي ونهبوا دوره وأمواله، وذلك مطلع عام ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م (٨٠).

وما لبث القادر أن جنى عاقبة فساد واعتماده على بطانة السوء، فقد انقلب عليه أعوان الأمس الذين ناصروه على ابن الحديدي، وأخذوا يجرضون الناس ضده، وأصبحت بوادر الثورة تلوح في أفق وجنّبات طليطلة، هذا في الوقت الذي تمكن فيه المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية من استرجاع قرطبة منه (٨١)، وابن هود صاحب سرقسطة أخذ يرهقه بغاراته حتى انتزع منه مدينة شنتبرية (٨٢)، واستغل كذلك أبو بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية الفوضى في طليطلة وأعلن استقلاله، وخلع طاعة بني ذي النون، ومن جهتهم أيضاً أخذ النصاري يغيرون على أعمال مملكته، وكادت مدينة

قونكة أن تسقط بيد شانجة بن ردمير ملك آراغون، لولا أن افتداها أهلها بمبلغ كبير من المال^(٨٣).

أمام هذه المتاعب والهموم، لم يجد القادر أمامه عوناً ونصيراً إلا حليف جده المأمون من قبل؛ ألفونسو السادس ملك قشتالة، فبعث إليه يلتمس عونه ومساعدته، ويبدو أن ألفونسو كان ينتظر هذه اللحظة على فارغ الصبر، فاستجاب له في الحال، بعد أن اشترط عليه تسليمه بعض القلاع والحصون، وما يطلبه من مال، نظير هذه المساعدة^(٨٤).

هذا وقد أدت التنازلات الكبيرة، والأموال الباهظة، التي قدمها القادر المغلوب على أمره، إلى ألفونسو الذي وجد في القادر ذلك الملك الضعيف الذي يستطيع من خلاله تحقيق مشروعه الكبير في الاستيلاء على طليطلة، والتي التقت مع سياسة القادر الخرقاء في إدارة شؤون مملكته الداخلية، إلى اندلاع ثورة محلية في طليطلة عام ٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م، أرغمت القادر على الفرار من المدينة مع أهله وولده، ويذكر ابن الكردبوس أن القادر عندما عجز عن جمع الأموال التي التزم بها لألفونسو جمع أهل طليطلة وقال لهم "أقسم لئن لم تحضروني هذا المال الذي طلب في الحين، لأجعلن عنده رهناً لجميع من عندكم من العيال والبنين"^(٨٥)، ولم يكن من أهل المدينة بعد أن سمعوا كلامه إلا أن خلعوا طاعته، فلجأ القادر إلى حصن من حصونه الشرقية، وهو حصن وبذة^(٨٦)، لتصبح طليطلة بذلك بلا حاكم أو حكومة^(٨٧)، فاتفق وجهاء المدينة على مراسلة المتوكل بن الأفطس^(٨٨) أمير بطليوس، ومبايعته ليتولى تسيير أمور مملكتهم، فوافق المتوكل، وقدم إلى طليطلة وقام بالأمر^(٨٩).

أما القادر فقد انتقل من حصن وبذة إلى مدينة قونكة، ومنها كتب إلى ألفونسو مللك قشتالة يستصرخه ويطلب منه المساعدة لإعادته إلى حكم طليطلة، ولم يكن ألفونسو ليتأخر عن نجدة القادر خشية أن تفلت الأمور من يده، فجاء على حد تعبير ابن الكردبوس بنفسه في أسرع وقت، فتلقاء القادر واتفقا على محاصرة طليطلة، ومن الشروط التي فرضها ألفونسو على القادر نظير مساعدته أن يعطيه جميع أموال المدينة بعد استعادتها، وأن يتنازل له عن حصني سرية وقورية^(٩٠)^(٩١).

وفعلًا سار القادر بصحبة حليفه ألفونسو نحو طليطلة، وقاما معاً بفرض الحصار على المدينة، ولما لم يجد ابن الأفطس من يعينه على دفع الحصار فر هارباً من المدينة بعد أن أمضى زهاء عشرة أشهر في إدارة شؤونها، حاملاً ما يمكن حمله من أملاك وذخائر القادر، تاركاً طليطلة وأهلها يواجهون قدرهم المحتوم، يقول ابن بسام "فر (المتوكل) وتركهم كالسفينة خانتها الريح، والجسد بان عنه الروح، بين ناب الطاغية أذفونش وظفره" (٩٢).

ودخل القادر وحليفه ألفونسو طليطلة بعد أن نكلت جند النصارى بأهلها الذين حاولوا التصدي لهم، وذلك عام ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م، وبعد أن استقر القادر على عرشه من جديد، قام بجمع أموال عظيمة من المدينة، وقدمها لألفونسو لكنه لم يرتضها، فأضاف له فوق ذلك ما ورثه من الكنوز والنفائس عن أبيه وأجداده وقدمها له (٩٣)، لكن على ما يبدو أن هذه الأموال أيضاً لم تف بما اتفقا عليه فأخذ ألفونسو لقاء ذلك حصن قتال (٩٤) رهناً لحين سداد المال، وعاد ألفونسو لبلاده محملاً بأموال المسلمين (٩٥).

ولا شك أن هذه الحادثة كانت بداية النهاية لسقوط طليطلة بيد النصارى، ويؤكد ذلك عنان نقلاً عن بعض الروايات القشتالية، أن القادر حينما طلب العون والمساعدة من ألفونسو على استرداد المدينة، قد تعهد له بأن يحكمها باسمه، وأن يسلمها إليه متى شاء (٩٦).

وهكذا، يلاحظ مما سبق، أن القادر بضعف شخصيته، وسوء إدارته، قد اعتمد داخلياً على بطانة السوء، وأصحاب الفساد، مما أدى ذلك إلى إحداث القطيعة بينه وبين شعبه، أما خارجياً فقد اعتمد على ملك قشتالة ألفونسو السادس في حماية عرشه، وتحقيق أطماعه التوسعية على حساب جيرانه المسلمين، مقابل دفع الأموال الباهظة، والتنازل عن بعض الحصون له، وقد استنزفت سياسته هذه أموال مملكته لإعطائها لحليفه ألفونسو، وساهمت في ضعفها والسير بها نحو السقوط.

ثالثاً- سقوط طليطلة بيد ملك قشتالة ألفونسو السادس:

1- نشأة العلاقة وتطورها بين ألفونسو السادس والأسرة الذنونية حتى عام

١٠٨٢/٥٤٧٤ م:

رب شر تتقيه جر خيراً تبتغيه، هذا أقل ما يمكن أن يقال في وصف حال ألفونسو السادس عقب وفاة أبيه فرناندو الأول ملك قشتالة وليون عام ١٠٦٥م؛ فقد كان فرناندو الأول قد عمد قبيل وفاته إلى تقسيم مملكته بين أبنائه الثلاث، للحيلولة دون وقوع نزاع بينهم: فحصل شانجة الثاني (الابن الكبير) على قشتالة، ومنح ألفونسو السادس (الابن الأوسط) أشتوريس وليون، أما غرسية (الابن الأصغر) فكانت حصته جليقية والبرتغال^(٩٧)، وأسند فرناندو حق الإشراف على الأديرة في جميع المملكة إلى ابنتيه أوراكا وإلقيرا، وخص أوراكا فوق ذلك بمنحها مدينة سمورة، وهي قلعة منيعة تقع على نهر الدويرة^(٩٨).

غير أنه بوفاة الملك فرناندو سرعان ما ثارت الحرب الأهلية بين الأخوة الثلاث، ودخلت اسبانيا النصرانية جراء ذلك في حالة نزاع مسلح استمر لعدة سنوات، انتهت لمصلحة الأخ الأكبر شانجة الذي استطاع الانتصار على أخويه واغتصاب ملكهم، وللتخلص من بطش أخيه لجأ ألفونسو السادس إلى طليطلة، طالباً حماية المأمون بن ذي النون، وذلك عام ١٠٧٢م/٥٤٦٤م، فرحب به المأمون غاية الترحاب، وأنزله داراً مجاوراً لقصره^(٩٩)، بل وخصص له أخرى خارج المدينة ذات حدائق غناء للتنزه فيها، وبقي ألفونسو في ضيافته المأمون تسعة أشهر معزراً مكرماً^(١٠٠).

ويبدو أن ألفونسو لم يحفظ جميل المأمون وفضله عليه، فقد استغل المدة التي قضاها لاجئاً في طليطلة، بدراسة أحوالها، ومعاينة نقاط ضعفها، فقد كان يخالط السكان، ويفكر من أي الأماكن وبأي الأدوات الحربية يمكن اقتحامها والاستيلاء عليها إذا كتب له العودة للحكم، وفي ذلك يقول ابن عذاري "كان قد عاين أمر طليطلة وعملها وتكشف عليها فكان ذلك سبب طمعه فيها إلى أن دخلها على المسلمين وملكها"^(١٠١)، ويقول ابن الخطيب "فأواه (المأمون)، وأجاره، وسكن عنده؛ وسكنه بطليطلة واطلاعه على عوراتها هو الذي أوجب تملك النصاري لها"^(١٠٢).

وأياً كانت الحال التي عاشها ألفونسو في طليطلة، فإنه لم تكد تنقضي مدة تسعة أشهر على إقامتها فيها، حتى جاءت له الأنباء بمقتل أخيه شانجة على يد أحد الفرسان بينما كان يحاصر قلعة سمورة يريد انتزاعها من يد أخته أورাকা، ويشير أشباح إلى أن أورাকা ما أن نجحت في اغتيال شانجة في كمين أعدته له، حتى بادرت بمراسلة أخيها ألفونسو السادس في طليطلة تنبئه بخلو عرش قشتالة، وتدعوه للعودة بأسرع ما استطاع^(١٠٣). وما أن وقف ألفونسو على خبر مقتل أخيه شانجة، حتى أعرب للمأمون عن عزمه الرجوع إلى مملكته، وبعد أن قطع له أوثق العهود باحترام مملكته ودوام علاقات الصداقة بينهما، وأن يعاونه ضد خصومة من ملوك الطوائف، قفل ألفونسو عائداً لبلاده محملاً بالهدايا والتحف، وذلك عام ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م، وبلغ من احترام المأمون له أن رافقه إلى حدود مملكته^(١٠٤).

وتفيد بعض الروايات النصرانية أن ألفونسو السادس ما أن اعتلى عرش قشتالة، وانتهى من توحيد اسبانيا النصرانية تحت حكمه، حتى أراد أن يعرب عن عرفانه لحليفه المأمون، فأمدّه ببعض قواته التي ساعدته في الاستيلاء على قرطبة وانتزاعها من ابن عباد ملك إشبيلية، سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م^(١٠٥)، غير أن الرواية الإسلامية تفند ذلك، وتبين أن سيطرة المأمون على قرطبة كان بتدبير من مغامر قرطبي، دبر مؤامرة مع سكان المدينة تمكن فيها من قتل ابن المعتمد بن عباد^(١٠٦) والاستيلاء عليها^(١٠٧).

وعقب وفاة المأمون، وتولي حفيده القادر الحكم، أظهر ألفونسو بداية الأمر بره للقادر كما يقال، بحجة أنه سعى لرد فضل جده الذي عليه^(١٠٨)، غير أن ألفونسو سرعان ما كشف عن أنيابه تجاه طليطلة، خاصة بعد أن وجد في القادر ذلك الملك الضعيف الذي لا يقوى على شيء، وأنه ليس من صنف جده المأمون، وهنا بدأ ألفونسو بالتنصل من الوعود التي قطعها على نفسه للمأمون من أن يصون مملكته وأن لا يعتدي عليها، وظهر ذلك واضحاً عندما اشترط ألفونسو على القادر أن يدفع إليه لقاء مساعدته في استعادة طليطلة بعد أن ثار عليه أهلها وأخرجوه منها واستقر به المقام في حصن قوتكة عام ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م، جميع أموال المدينة بعد استعادتها بالإضافة إلى التنازل له عن حصني سرية وقورية^(١٠٩). وعلى الرغم من الأموال الطائلة التي قدمها القادر لألفونسو بعد استعادته لعرشه عام ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م، إلا أنها لم تقنعه مما اضطر القادر إلى إضافة

أمواله الخاصة إليها، لكنها مع ذلك لم تف برغبة ألفونسو، الذي أخذ حصن قتالش رهناً لحين سداد القادر المبلغ المتفق عليه^(١١٠).

ومنذ أن جلس القادر على عرشه من جديد، أصبح غارقاً في مستنقع التبعية للملك القشتالي، لدرجة أنه أصبح لا يستوعب أي مأزق وضع نفسه فيه، وأي مصير محتوم يسير إليه، هذا في الوقت الذي أخذت فيه الفوضى تسود المدينة، وبدأ الاضطراب السمة الغالبة على أحوالها. ومن جهة أخرى لم يتردد ألفونسو في إمطة اللثام عن نواياه، وأخذ يرهق القادر بطلب المزيد من المال، ويغير على أطراف طليطلة يخرب ويقتل، ويتسلف الحصن بعد الحصن، أو كما يقول ابن سعيد "ففر فاه على ثغوره، وجعل يطويها طي السجل للكتاب"^(١١١).

وهكذا؛ يلاحظ أن الملك القشتالي ألفونسو السادس، قد حافظ على علاقته الطيبة مع مملكة طليطلة حتى وفاة المأمون بن ذي النون، تقديراً منه لما قدمته تلك الأيادي البيضاء من حسن ضيافة له عندما كان لاجئاً عندها، لكن بتولي القادر ملك طليطلة عام ١٠٦٨هـ / ١٠٧٥م، وما ظهر عليه من صفات الضعف والهوان، كان مدعاة لطمع ألفونسو في الاستيلاء على مملكته، وقد مهد لذلك أولاً بإضعاف سكان المدينة من خلال استنزاف أموالهم عن طريق القادر، أو الإغارة على أراضيهم وتخريب زروعهم، وثانياً من خلال إجبار القادر التنازل له عن بعض الحصون والقلاع التي كانت بمثابة خطوط الدفاع الأمامية لمدينة طليطلة، نظير مساعدته ضد أهل مملكته.

٢- حصار طليطلة وسقوطها:

تأزم الوضع الأمني والاقتصادي في مدينة طليطلة منذ أن استعاد القادر حكمها عام ١٠٧٣هـ / ١٠٨٠م، ويشير إلى ذلك ابن بسام، إذ يقول أن القادر ما أن استقر على عرشه حتى استخف بأهل مدينته، فضرب مدبرهم بمقبلهم، وولى آخرهم كبر أولهم، حتى طمع فقيرهم في غنيهم، وأصبح الرجل يرتاع من ظله. هذا في الوقت الذي أخذ فيه ألفونسو يشن الغارة تلو الأخرى على نواحي طليطلة، ينتسف مرافقها، ويحرق زروعها، ويأسر ويقتل أهلها، فتفاقمت نتيجة لذلك الأمور، حتى بلغت القلوب الحناجر^(١١٢).

وكان ألفونسو قد تجبرت وبالع في مطالبة الأموال من القادر، ولا شك أنه كان يهدف من ذلك إلى إضعاف السكان وبالتالي إضعاف المدينة فيسهل السيطرة عليها،

ومن ذلك أنه اشترط على القادر لقاء فك رهن حصن قتالش أن يدفع إليه مائة وخمسين ألف مثقال من الذهب وخمسمائة مد من الطعام، ضيافة له عن كل ليلة أمضاها طوال مدة بقاءه في هذا الحصن^(١١٣)، ولم يكن أمام القادر من باب لتأمين هذا المال، إلا من سكان المدينة، وعندما شرع في تحصيله منهم أخذوا بالتبرم منه ومن حكمه، وأعلنوا ثورتهم عليه، وكان ذلك يوم عيد الأضحى عام ٤٧٤هـ / ١٠٨٢م، حيث زحفوا إلى مقره وحاولوا قتله، غير أن جنود القصر تلقوهم بالسيوف، وأعادوهم من حيث أتوا صاغرين^(١١٤).

هذا وقد أدى فشل هذه الثورة، إلى نفاذ صبر سكان المدينة، ووصل بهم الأمر لشدة ما وصلوا إليه من سوء حال، أن حاولوا الاتصال ألفونسو نفسه ليشتكوا إليه سوء حالهم، وظلم القادر لهم، فما كان من ألفونسو وهو الذي خطط إلى ذلك كله، إلا أن أهانهم وطردهم. عندها يئس أهل المدينة من تغير الحال، ولم يبق أمامهم إلا خيار الرحيل، فأخذوا بالهجرة إلى سرقسطة وغيرها من البلدان المجاورة^(١١٥)، ولم يبق بالمدينة إلا القادر وحلفائه، وبذلك أصبحت طليطلة لقمة سائغة في يد ألفونسو، فقد جردت من جميع وسائلها الدفاعية، وهذا ما كان يرمي إليه ألفونسو كمقدمة للاستيلاء عليها.

وابتداءً من شوال عام ٤٧٤هـ / ١٠٨٢م، شدد ألفونسو السادس من غاراته على طليطلة، وأخذ يخرب الزروع، ويقطع الأشجار، وينهب المحاصيل، ويتلف ما يمكن أن ينتفع به أهل المدينة إن حاصرها يوماً^(١١٦)، وذلك أن ألفونسو كان يدرك جيداً وهو الذي عاش في المدينة عدة أشهر ولا تخفى عليها طبوغرافيتها، أن السبيل الوحيد للاستيلاء عليها هو الحصار، حيث تفيد إحدى الروايات أنه أثناء إقامته في المدينة في ضيافة المأمون استمع ذات يوم لحديث بعض الرجال في طريقة الدفاع عن المدينة بقولهم أن لا سبيل لتغلب العدو عليها إلا بطول الحصار^(١١٧).

وإلى جانب الأعمال العسكرية وما صاحبها من نهب وتخريب لنواحي طليطلة، مهد ألفونسو لمشروعه الكبير في انتزاع المدينة، بأن قام بتجديد معاهدة الصلح والمهادنة مع المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، إذ تذكر الروايات أن المعتمد بن عباد عندما رأى استفحال قوة ألفونسو وسطوته على طليطلة، خشي أن يمتد تيار الغزو إلى أراضيه،

فأرسل وزيره المخضرم أبو بكر بن عمار⁽¹¹⁸⁾ إلى بلاط قشتالة لإبرام الصلح، وانتهت المفاوضات على عقد معاهدة بين الطرفين، تضمنت البنود الآتية:

١. يلتزم الملك ألفونسو بمعاونة ابن عباد بالجند والمرتزة ضد جميع من يناوئه العداء من المسلمين.

٢. يتعهد ابن عباد بأن يؤدي للملك قشتالة جزية سنوية كبيرة، جعلها ابن بلقين المعاصر للأحداث خمسين ألف دينار⁽¹¹⁹⁾.

٣. يعترف ابن عباد بتبعية الأراضي الواقعة شمال جبال الشارات للملك قشتالة، بينما يترك لابن عباد أحقية غزو أراضي مملكة طليطلة الجنوبية.

٤. وهو الأهم، يتعهد ابن عباد بعدم الاعتراض على مشروع ألفونسو الرامي لفرض هيمنته على طليطلة⁽¹²⁰⁾.

ويذكر أشباخ أن ملك قشتالة كافئ ابن عمار منظم هذه المعاهدة خاتمين ثمينين، تقديراً لجهوده⁽¹²¹⁾. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على رضا ألفونسو الكبير عما تضمنته المعاهدة وخاصة إطلاق يده في طليطلة.

واعتماداً على هذه المعاهدة، شعر ألفونسو بأن الجو أصبح مهيئاً أمامه لتنفيذ مشروعه تجاه طليطلة، حيث تأكد له خضوع جميع ملوك الطوائف - باستثناء ابن الأفطس ملك بطليوس - وإنهم لن يجرؤوا على تحريك ساكن ضده، فالعتمد بن عباد ركن لهذه المعاهدة وسار بجيشه إلى غرناطة ليخضع أميرها عبدالله بن بلكين بن باديس⁽¹²²⁾، وخاض معه العديد من المعارك، وبعد أن نجح بمساعدة بعض قوات النصراري في انتزاع عدد من الحصون والمدن من آل باديس، عكف بدلاً من أن يسير بقواته لنجدة طليطلة، على الزحف نحو الغرب مهدداً مملكة بطليوس، وبذلك حال دون معاونة ابن الأفطس لطليطلة⁽¹²³⁾.

أما المقتدر بن هود⁽¹²⁴⁾ أمير سرقسطة، والذي كان يمثل أقوى الأمراء المتأخمين لمملكة طليطلة من ناحية الشمال والشرق، فقد ظل يشغل نفسه بمحاربة ملك آراغون وأمراء برشلونة⁽¹²⁵⁾ حتى وفاته سنة ١٠٨١م / ٤٧٤هـ⁽¹²⁶⁾، ثم أنه كان قد عمّد قبيل وفاته إلى تقسيم مملكته بين ولديه يوسف المؤتمن، والمنذر، وقد خص المؤتمن مدينة سرقسطة وأعمالها، وخص المنذر مدن لاردة وطرطوشة ودانية⁽¹²⁷⁾، وقد أدى هذا التقسيم إلى

اندلاع الحرب الأهلية في مملكة سرقسطة بين الأخوين المؤتمن والمنذر، ولم يتحرج كل منهما عن الاستعانة بجيرانه المسيحيين ضد أخيه، ولم تنته الحرب إلا بوفاة المؤتمن سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م⁽¹²⁸⁾، أي في نفس السنة التي سقطت فيها طليطلة.

وعلى ذلك فقد شغلت مملكة سرقسطة بنفسها عن مد يد العون لطليطلة، على الرغم أن هناك من يذكر أن المؤتمن كان قد قام بمحاولة يائسة للمساعدة، وذلك أن المؤتمن الذي خلف والده على حكم سرقسطة، كان يرى وجوب مساعدة القادر بن ذي النون حتى لا تقع سرقسطة نفسها فريسة لألفونسو، فعلى الرغم من انشغاله بحرب أخيه، وحرب ملك أراغون وأمراء برشلونة، حاول أن يقضي على ألفونسو في كمين دبره، وذلك أنه أوعز لحاكم حصن ورطة أن يتظاهر بالثورة ضده، وأن يستدعي إليه ألفونسو لكي يتسلم منه الحصن بنفسه، ثم يباغته بالقتل، لكن ألفونسو خشي المكيدة، وأرسل ولدي أخيه ملك نافارا مع جماعة من كبار رجال بلاطه لاستلام مفاتيح القلعة عوضاً عنه، وهناك انقض المسلمون عليهم وقتلوه عن آخرهم، ومع ذلك لم يسارع ألفونسو للثأر من هذه المكيدة، إذ استمر يضيق على طليطلة ويعيث خراباً في بسائطها⁽¹²⁹⁾.

أما عن دول الطوائف الشرقية والجنوبية، فقد كانت بعيدة عن ميدان الخطر، ولا تستطيع تقديم المساعدة حتى ولو شاءت، لبعد المسافة.

وهكذا، تابع ألفونسو أعماله التخريبية ضد طليطلة طيلة ثلاث سنوات متتالية (٤٧٤-٤٧٧هـ / ١٠٨١-١٠٨٤م)، وهو مطمئن البال، يعيث فيها خراباً ودماراً، وملكها القادر لا يقوى إلا على تلبية طلباته الملحة من المال، حتى نضب معينه لديه، ولم يجد ما يقدمه إليه⁽¹³⁰⁾. ولم ينهض إلى نصرتها طوال هذه الفترة العصبية إلا مملكة بطليوس، بقيادة صاحبها المتوكل بن الأفطس، الذي قام ببعض الأعمال لإنقاذها والحيلولة دون سقوطها بيد الملك القشتالي، ولعل أهمها:

١. كتب سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م، إلى أمير المرابطين في بلاد المغرب يوسف بن تاشفين⁽¹³¹⁾، يستصرخه ويبين له سوء المصير الذي ينتظر المسلمين في الأندلس إن تأخر عن نصرتهم، وخاصة بعد تنازل القادر بن ذي النون عن حصن سرية للملك القشتالي ألفونسو، ومما جاء في كتابه له "تحصلت بيد العدو مدينة سرية، وعليها قلعة تجاوزت

حد القلاع في التحصن والامتناع .. إن لم تدركوها بجماعتكم عجالاً، وتبادروا ركباناً ورجالاً" (132). وبذلك كان المتوكل بن الأفطس أول من استنجد من ملوك الطوائف ييوسف بن تاشفين، وكان رد يوسف بن تاشفين إيجابياً عليه، حيث وعده بالجواز للأندلس، وتقديم المساعدة لمواجهة العدو (133).

٢. كلف القاضي والعلامة أبو وليد الباجي (134)، أن يطوف بالولايات والقواعد الأندلسية، منذراً ومحذراً من عواقب التفرق والتشاحن، وأن يهيب بملوك الطوائف واحداً واحداً، لنجدة طليطلة والوقوف أمام العدو المشترك، لكن مساعي هذا القاضي ونداءاته ذهبت كلها أدراج الرياح؛ إذ لم يصغ إليه أحد (135).

٣. أرسل ابنه الفضل، بجيش لصد هجمات ألفونسو عن طليطلة ونواحيها، لكن الفضل هزم في جميع المعارك التي خاضها، لتفوق جيش ألفونسو عليه بالعدد والعدة (136).

في ظل هذه الظروف، وبعد أن تأكد لألفونسو انقطاع أي مساعدة لطليطلة من قبل مسلمي الأندلس، الذين هم وإن كثر عددهم آنذاك، فهم كغثاء السيل، وبعد أن تأكد له سوء أحوال الناس داخل المدينة، وتكدر نفوسهم؛ إذ على ما يبدو أن أخبارهم كانت تصل إليه عن طريق جواسيس له بداخل المدينة، أو عن طريق النصارى المقيمين بالمدينة نفسها، أدرك أنه أصبح سيد الموقف، وأنه لم يعد هناك ما يحول دون دخوله المدينة.

وفي إحدى ليالي الخريف الحالكة سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م، تقدم ألفونسو بجيش ضخم نحو أسوار المدينة وضرب عليها حصاراً شديداً، وقطع عنها كل علاقاتها مع الخارج (137)، وطال الحصار، ودخل الشتاء، فشحت الأقوات بالمدينة حتى ضاق الناس ذرعاً، وذهبت جميع صيحات الاستغاثة التي أطلقوها لجيرانهم سداً، وكأنهم "يعكفون على طللٍ بائد، ويضربون في حديدٍ بارد" (138).

وكان موقف القادر بن ذي النون مريباً، وكأن بينه وبين النصارى اتفاقاً، فقد أمضى نيفاً على شهرين من الحصار بلا مجيء أو ذهاب، ثم عندما طال الحصار، ذهب إلى ألفونسو يعرض عليه دفع الجزية، والاعتراف بسلطانه على المدينة، لكن ألفونسو رفض عرضه، وأصر على وجوب خضوع المدينة وتسليمها كاملة دون قيد أو شرط (139). وكان موقف القادر هذا منوئاً لموقف أهل المدينة وخاصة أولئك الذين نادوا بالاستبسال والموت في سبيل الصمود، وحاولوا إطالة أمد المقاومة، على أمل أن يمل ملك قشتالة

ويخبر عزمه، أو أن يجدوا من المسلمين من ينجدهم، لكن لا هذا ولا ذاك تحقق، بل أخذ الموقف يشتد على أهالي المدينة المحاصرين يوماً بعد يوم⁽¹⁴⁰⁾.

أما عن موقف ملوك الطوائف، فإنهم لم يكتفوا بالتخاذل والإحجام عن نصره إخوانهم المحاصرين، بل تواطؤوا مع الملك القشتالي وهو يحاصر المدينة، فزودوه بالمؤن والأقوات، خاصة في أحلك الظروف التي مر بها، عندما حاصرتة الثلوج وقطعت عنه الإمدادات، مما زاد من صموده فجد في حصار المدينة، يقول ابن بسام "وهجم الشتاء فمنعه من ميرة تأتيه .. ولولا اهتبال ملوك الطوائف بإقامة مرافقه، وإصغائهم إلى هدر شقاشقه، لطار شعاعاً، وذهب ضياعاً"⁽¹⁴¹⁾.

وانقضى الشتاء وحل الربيع، والقوات القشتالية لا زالت تحكم حصارها على المدينة، في حين فشلت المقاومة في مسعاها، وملّ الناس الحصار، مما اضطرهم نهاية الأمر إلى الاتفاق مع القادر على أن يرسلوا إلى ملك قشتالة وفداً للتحدث في الصلح، فأرسلوا إليه جماعة من أعيانهم وقادتهم، إلا أنه أبى أن يستقبلهم فاستقبلهم وزيره سندهو، وكان هذا الوزير الذي عرف بالمصادر الإسلامية باسم ششند⁽¹⁴²⁾، من النصارى المستعربين، أسره ملك إشبيلية ابن عباد حدثاً في غارة له على بلاد النصارى، وعاش في بلاطه مع فتیان القصر، وتعلم العربية، ثم هرب من إشبيلية ولجأ إلى بلاط قشتالة، ولعب دوراً كبيراً في توطيد صولة ألفونسو السادس على معظم ملوك الطوائف، وقد حاول سندهو أن يدخل اليأس في قلوب أعضاء الوفد الطليطلي، ليدركوا أن لا فائدة من المقاومة، وأنه لا بد من التسليم، وعندما أصر الوفد على مقابلة ألفونسو، أدخلهم عليه، ويصور لنا ابن بسام مشهد الذل والهوان الذي كان عليه ملوك الأندلس المسلمين آنذاك من خلال ما لقيه أعيان طليطلة في حضرة ألفونسو، فيقول عندما مثل الوفد بين يديه، قال لهم: "إلى متى تتخادعون، وبأي شيء تطمعون؟ فقالوا: بنا بغية، ولنا في فلان وفلان أمنية، وسموا بعض ملوك الطوائف. فصفق بيديه، وتهافت حتى فحص برجليه، ثم قال: أين رسل ابن عباد؟ فجيء بهم يرفلون في ثياب الخناعة وينبسون باللسنة السمع والطاعة. فقال لهم: أين ما جئتم به لا كنتم ولا كان؟ فجاءوا بجملّة ميرة، وأحضروا بين يديه كل ذخيرة خطيرة .. ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلا أحضر يومئذ رسله، وكانت حاله حال من كان قبله"⁽¹⁴³⁾.

وحيثما رأى وفد طليطلة هذا المنظر المؤلم والمخزي للملك المسلمين، وأن أحداً منهم لم يتخلف عن إحضار رسله وإرسال الهدايا والتحف، خرجوا من خيمة ألفونسو وقد فقدوا كل أمل في العون، وأيقنوا الهلاك وسوء المصير، وعادوا إلى ديارهم خائبين⁽¹⁴⁴⁾. ولم تكد تمض ثلاثة أيام على عودة الوفد إلى المدينة، وقد تحطمت كل الآمال المرجوة في الصلح والمهادنة مع ألفونسو، وتقطعت كل الآمال في وصول العون والمساعدة من ملوك الطوائف، خاصة بعد ما شاهده زعماء طليطلة في خيمة الملك القشتالي من تسابق من سفراء ملوك الأندلس المسلمين لكسب وده ومحبة، خضعت المدينة للواقع المحتوم، وعرضت التسليم للملك ألفونسو بعد حصار مضني دام قرابة تسعة أشهر⁽¹⁴⁵⁾، وقد تضمن اتفاق التسليم بين القادر بن ذي النون وألفونسو، على تنازل القادر عن مملكة طليطلة مقابل أن يمكنه ألفونسو من ولاية بلنسية وأحوازها⁽¹⁴⁶⁾، في حين اتفق أعيان طليطلة مع ألفونسو على التسليم بالشروط الآتية:

١. أن يؤمن أهل طليطلة على أنفسهم وأموالهم وبنيتهم.
٢. لأهل طليطلة الحرية في الاختيار بين الإقامة أو الهجرة، وإن من أراد الإقامة لا يلزمه سوى أداء الجزية على عدد ما عنده من الأشخاص.
٣. لمن رغب العودة للمدينة ثانية بعد الهجرة، فله ذلك مع عودة عقاره له دون أدنى معارضة.

٤. أن يبقى المسجد الجامع في حوزة المسلمين، مع المحافظة على شرائعهم وقضائهم.
٥. تسليم القصر وأبواب المدينة والقناطر وحديقة القصر الملكي إلى الملك ألفونسو.
٦. تكون حراسة المدينة وحفظ حياة الطليطليين من مسؤولية الملك ألفونسو.
٧. أن يقدم أهل المدينة عدداً من أعيانهم كرهائن لضمان تنفيذ الاتفاق⁽¹⁴⁷⁾.

هذا وإن أجمعت غالبية الروايات التاريخية على أن سقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس كان عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، فإنها اضطربت في تحديد اليوم والشهر، فابن خلكان يرى أن ذلك كان يوم الثلاثاء غرة صفر⁽¹⁴⁸⁾، أما المقرئ فيورد في هذا الشأن روايتين؛ الأولى عن بعض المؤرخين تفيد أن ذلك كان في منتصف شهر المحرم، والثانية يوردها عن ابن علقمة يحدد فيها تاريخ السقوط بيوم الأربعاء العاشر من المحرم⁽¹⁴⁹⁾، ويتفق الحميري مع المقرئ في روايته الأولى بأن جعل تاريخ السقوط في منتصف محرم⁽¹⁵⁰⁾،

وبينما سكت ابن بلقين شاهد العيان في مذكراته عن تاريخ السقوط، اكتفى كل من ابن بسام وابن الكردبوس وابن الأثير وصاحب الحلل الموشية والنويري وابن خلدون بذكر السنة فقط⁽¹⁵¹⁾، وفي الجانب النصراني يتفق كل من بروفنسال ودوزي وأشباه أن سقوط طليطلة كان يوم ٢٧ محرم ٤٧٨هـ / ٢٥ مايو ١٠٨٥م⁽¹⁵²⁾.

وأياً كان تاريخ السقوط، الذي على ما يبدو أنه كان في منتصف محرم ٤٧٨هـ / مايو ١٠٨٥م، دخل ألفونسو السادس مدينة طليطلة ظافراً، على رأس قوات من قشتالة وليون وآراغون، وبعض المتطوعة والمغامرين من فرنسا وغيرها، إضافة إلى أساقفة يمثلون عدداً من البلدان الأوروبية⁽¹⁵³⁾، ولا شك أن هذا التجمع النصراني الذي حرص ألفونسو السادس على حضوره يوم دخوله طليطلة، إن دل على شيء إنما يدل على الطابع الصليبي الذي غلف عملية استرداد طليطلة.

وأعقب ألفونسو دخوله طليطلة بجلّ مجلس إدارة المدينة الذنوني، وعين حاكماً للمدينة وزيره ومستشاره في شؤون الممالك الإسلامية في الأندلس ششند، الذي حاول التقرب إلى المسلمين بإتباعه منهج العدل واللين، فنجح بذلك استمالة قلوب الكثير منهم، حتى أقبل بعضهم على اعتناق النصرانية، يقول ابن بسام "ولى ششند المذكور تدبير طليطلة .. فبسط فيهم عدله وأحكامه، حتى استمال قلوب أعلامها، وحبب التنصر إلى عامة طغامها، وفجأ المسلمين من اختلاف أهوائهم. وتنصر سفهائهم"⁽¹⁵⁴⁾.

ومع أن ألفونسو أعطى أهل طليطلة الأمان في اتفاقية التسليم، ووعدهم بضمان حرياتهم واحترام شعائر دينهم وحقوقهم، فإنه لم تكد تمض شهرين فقط على دخوله المدينة حتى تجرد من جميع عهوده، وحول المسجد الجامع في المدينة إلى كنيسة، وحطم المحراب ليقام مكانه الهيكل⁽¹⁵⁵⁾.

هذا وقد استتبع ألفونسو استيلائه على طليطلة، الاستيلاء على جميع المناطق المحيطة بها، من وادي الحجاره وشنتبرية شرقاً، إلى طليطلة غرباً، يقول ابن الكردبوس "لما حصل للطاغية ألفنش لعنه بطليطلة، شمش بأفنه .. فشن غاراته على جميع أعمالها، حتى فاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها، وذلك ثمانون منبراً"⁽¹⁵⁶⁾، ولم يكتف بذلك وحسب، بل أخذ يهدد قرطبة، حيث أعلن أنه سيواصل الحرب حتى يستولي على الأندلس كلها، ويظهر ذلك من رفضه لبس التاج بعد دخوله طليطلة، بناءً

على مشورة بعض مقربيه، حيث قال لهم: "لا، حتى أطأ ذروة الملك، وأخذ قرطبتهم واسطة السلك، وكان أعد لمسجدها الجامع ناقوساً تأنق في إبداعه" (157).

وهكذا ارتدت طليطلة إلى النصرانية بعد أن خضعت للحكم الإسلامي قرابة ثلاثمائة وست وثمانين سنة (158)، وغدت بذلك عاصمة أسبانيا النصرانية، وحاضرة مملكة قشتالة، التي يتربع على عرشها ألفونسو السادس، الذي علت مكانته بين ملوك النصرانية حتى تسمى بـ "الإمبراطور" أو "الكنييطور ذي الملتين"، أي ملك ملوك الديانتين الإسلامية والنصرانية، وأخذ يفتح كتبه إلى أمراء المسلمين قائلاً: "من الإمبراطور ذي الملتين الملك المفضل الأذفنش بن شانجة .." (159). ولم يقتصر الأمر على ذلك بل عاد أسقف طليطلة إلى تبوء منصبه كرئيس للكنيسة الأسبانية كما كان أيام المملكة القوطية، وفتحت أبواب المدينة أمام النصراري واليهود الذين هرعوا إليها من قشتالة وليون وغيرها، فتناقص عدد سكانها من المسلمين نتيجة لذلك بسرعة (160).

وبعد هذا العرض لمجريات حصار وسقوط مدينة طليطلة بيد الملك القشتالي ألفونسو السادس، يمكن أن نخلص إلى أن هذا السقوط الذي شكل ضربة قوية للمسلمين داخل الأندلس وخارجها، عائد للأسباب الآتية:

١. ضعف شخصية القادر بن ذي النون، وقلة معرفته بشؤون الحكم، وعدم امتثاله لنصائح جده المأمون - الذي أورثه حكم مملكة عظيمة - بالاعتماد على أهل الرأي والنجدة وخاصة ابن الحديدي، إذ استبدل ذلك بقرناء السوء وبطانة الشر، الذين ألبوا الناس ضده، حتى ثاروا عليه (161)، وبدلاً من أن يتعاطى القادر بعقل رشيد مع تلك الثورات، رمى بنفسه في أحضان الملك القشتالي ألفونسو السادس، اعتقاداً منه أنه سيحفظ العهود التي قطعها لجده المأمون عندما كان لاجئاً عنده، بأن لا يشاطر مملكة طليطلة العداء، وأن يحافظ عليها مستقلة. غير أن ألفونسو وجد في القادر ذلك الملك الضعيف الذي لا يقوى على شيء، فاستغله لتنفيذ طموحاته بالاستيلاء على المدينة من خلال استنزاف أموال مملكته، واستدراجه شيئاً فشيئاً للتنازل عن الحصون والقلاع، حتى فقدت المدينة خطوط دفاعاتها الأمامية، الأمر الذي سهل محاصرتها، وعجل في سقوطها.

٢. كان إيواء طليطلة للملك القشتالي ألفونسو عندما لجأ إليها هارباً من بطش أخيه شانجة عام ١٠٧٢م / ٤٦٤هـ، نقمة عليها وسبباً في تعجيل سقوطها، وقد أشار إلى ذلك ابن الخطيب بقوله: "وسكنه بطليطلة واطلاعه على عوراتها هو الذي أوجب تملك النصارى بها"⁽¹⁶²⁾، فبالإضافة إلى تعرفه بدروبها وخططها، اطلع ألفونسو على الكيفية التي يمكن بها انتزاع المدينة، فقد استطاع من خلال مصاحبته وملازمته لبعض رجال المأمون أن يتعرف منهم أن الاستيلاء على المدينة لا يكون إلا من خلال الحصار الطويل الأمد⁽¹⁶³⁾، وهذا ما فعله ألفونسو فقد لازم تخريب أحواز المدينة، وانتساف زروعها، والعيث بنواحيها لقراية سبع سنوات ابتداءً من عام ١٠٧٢هـ / ١٠٧٩م، وهو العام الذي هرب فيه القادر من المدينة على أثر ثورة أهلها ضده، ولعل مواصلة ألفونسو بالإغارة على أراضي مملكة طليطلة طوال هذه المدة، هو ما دفع البعض للقول أن الحصار استمر سبع سنوات، يقول النويري: "استولوا على طليطلة في سنة ثمان وسبعين بعد أن حاصروهم ألفونسو سبع سنين"⁽¹⁶⁴⁾، ويقول المقرئ: "أخذ الأذفونش طليطلة .. بعد أن حاصرها سبع سنين"⁽¹⁶⁵⁾.

٣. إتباع ألفونسو سياسة ممنهجة ضد أهل طليطلة، هدفت إلى إضعافهم وإفقارهم وتشيت صفوفهم، وكان ذلك من خلال أخذ أموالهم، وتخريب وإبادة ضياعهم وزروعهم، ويشير إلى ذلك ألفونسو نفسه بقوله "فبأي وجه أطمع في أخذها؟ إن كان من باب الطاعة، فأمر لا يمكن، وإن كان من وجه القتال، فيهلك فيها رجالي .. ولكن الرأي تهديد بعضهم ببعض، وأخذ أموالهم أبداً، حتى ترق، وتضعف، ثم هي تلقي بيدها إذا ضعفت .. كالذي جرى بطليطلة"⁽¹⁶⁶⁾.

٤. موقف ملوك الطوائف المتخاذل والمتواطئ مع ملك قشتالة، فبدلاً من أن يتعاونوا مع بعضهم البعض ضد عدوهم ويدحروه، قاموا برفع شأنه وتقوية عزمته من خلال تهافت رسلهم على خيمته وهو يشند في حصار المدينة، سائلين رضاه بخنوعهم وتقديم الأموال والهدايا الطائلة له في سبيل أن يقيهم على حالهم، والشاهد على ذلك ما جاء في إحدى رسائل ألفونسو للمعتمد بن عباد، إذ يقول: "وقد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها، وما صار بأهلها حين حصارها، فأسلمتم اخوانكم، وعطلتم بالدعة زمانكم"⁽¹⁶⁷⁾.

٥. انقسام أهل طليطلة على أنفسهم، وتشتت صفوفهم، فمنهم من كان مؤيد للقادر، ومنهم من كان معارضاً له، ومنهم من كان يتواطأ مع النصارى.

ثالثاً: مصير القادر بن ذي النون آخر الحكام المسلمين في طليطلة:

ما أن دخل ألفونسو السادس مدينة طليطلة، حتى غادرها القادر وأهله مع كبار أشراف المدينة متجهين شرقاً، فاستقر بهم المقام أولاً في مدينة قونكة، بعدما رفضت باقي المعاقل والحصون الإسلامية استقباله وإيواءه، وما أبلغ تعبير ابن بسام في وصف حال القادر عند خروجه من طليطلة صاغراً، إذ يقول: "وخرج ابن ذي النون خائباً مما تمناه، شرقاً بعقبى ما جناه، والأرض تضج من مقامه، وتستأذن في انتقامه، والسماء تود لو لم تطلع نجماً إلا كدرته عليه حتفاً مبيداً، ولم تنشئ عارضاً إلا مطرته عذاباً فيه شديداً. واستقر بمحلة أذفونش مخفور الذمة، مزال الحرمة .. وقد أطاف به النصارى والمسلمون، أولئك يضحكون من فعله، وهؤلاء يتعجبون من جهله" (168).

ومن قونكة أخذ القادر يرسل أهل بلنسية، ويعرض عليهم قضيته، مدعياً أنه صاحب الحق الشرعي في حكم المدينة التي كانت فيما سبق تحت طاعته، فاختلف أهلها في طلبه وكثر الجدل بينهم بين موافق ومعارض، وأمام افتراق أهل المدينة، قرر القادر انتهاز الفرصة، فسار إليها وجماعته على عجل في حماية سرية قوية من جنود ألفونسو القشتاليين، بقيادة البرهانس (Alvar Hanez)؛ أحد كبار قادة الملك ألفونسو السادس، وما أن وصل إلى ظاهر المدينة، وعكف على محاصرتها، حتى بادر أهلها على خلع حاكمهم أبو عمر عثمان بن عبد العزيز، وكان قد قضى في منصبه تسعة أشهر فقط، وسلموا المدينة للقادر، وذلك خوفاً من الحصار وبطش الجنود القشتاليين، فنزلها القادر برفقة الجند النصارى في شوال سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٦م (169). لتقوم بذلك دولة بني ذي النون من جديد، ولكن هذه المرة في بلنسية، لكنها بلا شك لم تكن سوى دولة هشة ضعيفة تدين بوجودها إلى حراب ملك قشتالة ألفونسو السادس، الذي كان يرى في حكم القادر لبلنسية، ما هو إلا مقدمة لفرض هيمنته عليها.

ولم يطل أمر القادر ببلنسية، فمصييره التعس بقي يلاحقه، إذ سرعان ما تكالبت عليه المشاكل، فثار عليه قاضي المدينة أبو جعفر بن جحاف، بسبب اشتطاطه في جمع الأموال من الناس ليسد بها مطالب القشتاليين ومغارمهم التي لا تنتهي، وخوفاً من قيام

القادر بتسليم المدينة لألفونسو كما فعل في طليطلة، وقبض ابن جحاف على القادر وأمر بقتله، وتولى هذه المهمة فتى من بني الحديدي انتقاماً لقتل أبي بكر الحديدي، فقطع رأسه وطيف به ببلنسية، أما جثته فقد أُلقي بها في سبخة حتى واراها رجل احتساباً وصدقة دون كفن، وكان ذلك سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م⁽¹⁷⁰⁾.

وهكذا طويت صفحت القادر بن ذي النون على أبشع صورة، ويبدو أن خطيئة ابن الحديدي، الذي غدر به وقتله ظلماً مطلع عهده، وفرضه صولة الضعيف إذا تحكّم على أبناء جلدته، قد جلبت عليه هلاكه.

رابعاً: موقف ملوك الطوائف بعد سقوط طليطلة:

بدايةً يمكن القول أن موقف ملوك الطوائف عموماً من سقوط طليطلة كان ضعيفاً جداً، مما يثير في النفس الألم والحسرة من ملوك باعوا دينهم وأمتهم وقوميتهم من أجل دنياهم، فطوال خمس سنوات منذ عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م، وألفونسو يعيث بنواحي طليطلة بل وبنواحيهم خراباً وفساداً وقتلاً، وهم منشغلين بأنفسهم، كل واحد منهم يريد أن يضم للملك ما تحت يد غيره، ثم عندما ضرب الملك القشتالي الحصار حول المدينة في خريف ٤٧٧هـ/١٠٨٤م، لم يكتفوا بالتخاذل والإحجام عن نصرته إخوانهم المسلمين، بل تواطأوا مع ألفونسو نفسه، وزودوه بالمؤن والأقوات عندما انقطعت عنه الإمدادات بفعل تساقط الثلوج. وحينما ضعفت مقاومة المدينة وشارفت على التسليم في ربيع ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، تسابق رسلهم وسفرائهم إلى حضرة ألفونسو يخطبون وده، بذلة تأبأها النفس المسلمة، وقدموا له الجزى المتوجبة على ملوكهم، طمعاً في تركهم على حالهم، وإقرارهم على بلادهم⁽¹⁷¹⁾.

ثم بعد سقوط طليطلة مباشرة هبّ ملوك الطوائف على صعيد واحد، مهنئين ومباركين، ولألفونسو معلنين أنهم بأنفسهم وأموالهم له مفتدين، وأنهم في أنحائهم ليسوا إلا جباة لأمواله وتابعين لسلطانه. وبلغ من ضعفهم وخنوعهم أن قدم أحدهم إليه هدية فاخرة، فردّها إليه ألفونسو بأن أهدها قرداً، فرأى ذلك الأمير في هذه الهدية جنته، وصار يفخر بها على جميع ملوك الطوائف، معتقداً أنه كسب رضاه، وأن بلاده أصبحت في مأمن من طغياه⁽¹⁷²⁾.

أما ألفونسو فإنه ما أن ثبت أقدامه في طليطلة، حتى كشف عن سياسته وأنيابه تجاه المسلمين، فأعلن أنه لن يكتفي بطليطلة، بل سيواصل الحرب حتى يستولي على الأندلس كلها، ولقب نفسه بالإمبراطور؛ أي ملك ملوك الديانتين الإسلامية والنصرانية⁽¹⁷³⁾، ورفض أن يلبس تاج الإمبراطورية، إلا بعد أن يفرض سيطرته على قرطبة، حاضرة المسلمين في الأندلس، حيث قال: "لا حتى أطمأ ذروة الملك، وأخذ قرطبتهم واسطة السلك"⁽¹⁷⁴⁾.

ومن طليطلة أخذ ألفونسو يرسل ملوك الطوائف ويحذرهم من مثل مصير طليطلة إن لم يسارعوا بتسليمه ما أراد من الحصون والقلاع التي تحت أيديهم، وأخذ يستخف بهم وبقواتهم ويجيوشهم، فقد جاء رده على رسول المعتمد بن عباد قوله "كيف أترك قوماً مجانين، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم .. وكل واحد منهم لا يسأل في الذب عن نفسه سيفاً، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً"⁽¹⁷⁵⁾. عندئذ ارتاع ملوك الطوائف من تصرفات ألفونسو، وأدركوا بعد فوات الأوان أن سقوط طليطلة ما هو إلا نذير بالقضاء عليهم واحداً بعد الآخر، وهذا ما جعلهم ينبذون خلافاتهم جانباً، ويتوجهون بأنظارهم جميعاً إلى إخوانهم المرابطين وراء البحر، يستصرخونهم بالعون والنجدة، يقول ابن الكردبوس: "ولما تيقن كل ثار ورأس، ولا سيما رؤساء غرب الأندلس كابن عباد وابن الأفطس، مذهب ألفنش فيهم، وأنه لا يقنع منهم بجزية ولا هدية، رأوا أن الرجوع إلى الحق أحق، فاستصرخوا بالمرابطين، واستنصروا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين"⁽¹⁷⁶⁾.

هذا وقد استجاب يوسف بن تاشفين، لنداء استغاثة ملوك الطوائف، فجاز للأندلس سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م، على رأس جيش تجاوز العشرين ألفاً، وتمكن بما انضم إليه من القوات المسلمة في الأندلس من إلحاق هزيمة قاسية بألفونسو وجيشه البالغ عدده ثمانون ألفاً، في موقع بالقرب من بطليوس يعرف باسم الزلاقة⁽¹⁷⁷⁾.

أما عن موقف عامة مسلمي الأندلس، فقد كان لذلك أسوأ الوقع في نفوسهم على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم، الأمر الذي جعلهم يفيقون من سباتهم العميق، ليرفعوا صوتهم في وجه حكامهم الذين أخذتهم الدعة، وليحذروهم مغبة الأمر، وإن سقط طليطلة واسطة بلاد الأندلس ما هو إلا نذير برحيل الجميع عن الأندلس، وقد عبر عن

ذلك أحد أعلام طليطلة في ذلك الوقت، وهو الشاعر أبو محمد عبدالله بن فرج اليحصبي، المعروف بابن العسال (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٥م)، بقوله:

يا أهل الأندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط⁽¹⁷⁸⁾

ولم يقف الأمر عند ذلك، بل تزعم القضاة والفقهاء والعلماء في الأندلس، حركة استنهاض المرابطين في المغرب لنجدة الأندلس من عيث الطاغية ألفونسو، فقد ترأس قاضي الجماعة بقرطبة، وقضاة غرناطة وبطليوس وإشبيلية، الوفد الذي أرسله ملوك الطوائف لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين، فاجتمعوا معه مرة بعد مرة حتى انتهوا من وضع الترتيبات اللازمة لمعاونة إخوانهم في الأندلس⁽¹⁷⁹⁾، ويشير الحميري إلى أن فقهاء كثيرين غير هؤلاء وفدوا من الأندلس بعد سقوط طليطلة يستصرخون ابن تاشفين، ويستعطفونه مجهشين بالبكاء، ومستجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته، قاموا بذلك استجابة لواجب الدين، لا رغبة في استحصال رقاع من الأرض، أو ذكر عليها⁽¹⁸⁰⁾.

وعندما جاز ابن تاشفين للأندلس، وأخذت الاستعدادات لمواجهة جيوش النصارى في موقعة الزلاقة، تشير الروايات أنه لم يبق أحد من أهل الأندلس إلا من بادر وأعان وخرج وأخرج، حتى بلغ عدد المسلمين الذين انضموا تحت لواء ابن تاشفين في تلك المعركة من أهل الأندلس وحدهم، سواء أكان ذلك جند نظاميين أو مطوعة، زهاء أربعة وعشرون ألفاً⁽¹⁸¹⁾.

مما سبق يظهر أن سقوط طليطلة، كان له وقعاً قوياً في نفوس الأندلسيين على مختلف فئاتهم وطبقاتهم، ملوك وفقهاء وعلماء وعامة الناس، حيث أدركوا عظم الخطأ الذي وقعوا فيه بترك طليطلة تلقى مصيرها وحدها، وأدركوا إن بقيت تلك حالهم، ستدور الدائرة عليهم، فاتجهوا جميعاً لطلب العون من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، الذي استجاب لندائهم، واستطاع بمجيعتهم من إيقاف حركة الاسترداد المسيحي للمدن الأندلسية ولو لحين.

الخاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت سقوط مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس،

عدداً من الحقائق، أهمها:

١. كان إيواء طليطلة زمن حاكمها المأمون بن ذي النون، لألفونسو السادس عندما لجأ إليه هارباً من بطش أخيه الأكبر شانجه سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م، نقمةً عليها، وسبباً في تعجيل سقوطها؛ وذلك أن ألفونسو استغل فترة إقامته في ضيافة المأمون بدراسة أحوال المدينة، ومعاينة نقاط ضعفها، ومعرفة من أي الأماكن وبأي الأدوات والأساليب الحربية يمكن اقتحامها.

٢. أصبح الاستيلاء على طليطلة الشغل الشاغل للملك القشتالي ألفونسو السادس، بدءاً من مساعدته للقادر بالعودة للمدينة بعد أن ثار عليه أهلها وأخرجوه منها سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م، إذ أخذ بالإغارة على نواحيها، والعيث في معاقلها، وانتساف زروعها، وقتل وسبي من يقع في يده من أهلها، وكل ذلك مع استغلاله للقادر ذلك الملك الضعيف سيء الرأي، بإجباره على استنزاف أموال مملكته بدفع الإتاوة والجزية، واستدراجه شيئاً فشيئاً للتنازل عن الحصون والقلاع، حتى فقدت المدينة خطوط دفاعاتها الأمامية، الأمر الذي سهل محاصرتها، وعجل في سقوطها.

٣. لم يكتف ملوك الطوائف بالتخاذل والإحجام عن نصرة إخوانهم المسلمين المحاصرين في طليطلة طيلة تسعة أشهر، بل تواطأوا مع الملك القشتالي نفسه، وزودوه بالمؤن والأقوات عندما منع الشتاء والثلج وصول الإمدادات إليه، مما زاد من صموده، فجدد في حصار المدينة حتى رضخت للتسليم في محرم ٤٧٨هـ / مايو ١٠٨٥م.

٤. اتسمت حملة ألفونسو السادس ضد طليطلة بأنها اتخذت طابعاً صليبيّاً، ويظهر ذلك من مشاركة قوات تمثل مختلف الممالك النصرانية في إسبانيا من قشتالة وليون وآراغون بحصار المدينة، هذا إلى جانب بعض المتطوعة والمغامرين والأساقفة من فرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية.

٥. كان لسقوط طليطلة أسوأ الوقع في نفوس المسلمين داخل الأندلس وخارجها، نظراً لموقعها المتوسط في شبه الجزيرة، ولإعلان ألفونسو بمجرد تثبيت أقدامه في طليطلة بأنه سيواصل الحرب ضد المسلمين حتى يستولي على الأندلس كلها، وأخذ بهتديد ملوك الطوائف بسلب ما تحت أيديهم من معاقل، وهنا أدرك ملوك الطوائف بعد سقوط طليطلة أن الدائرة ستدور عليهم قريباً، لذا سارعوا لطلب العون والنجدة

من إخوانهم المرابطين وراء البحر، فكان لهم ذلك بجواز يوسف بن تاشفين للأندلس، وإنزاله الهزيمة بألفونسو السادس في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م.

هوامش البحث

- (1): قرطبة: هي قاعدة الأندلس وأم المدائن، كانت دار ومستقر الخلافة الأموية، تقع على منحى الضفة الشمالية للنهر الأكبر الذي يعرف بالوادي الكبير. انظر: الحميري، محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م، ص٤٥٨. سيشار إليه فيما بعد: الحميري، الروض المعطار.
- (2): المرحلة: تساوي ٣٠ ميلاً. انظر: مؤنس، حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٦٦. سيشار إليه فيما بعد: مؤنس، تاريخ الجغرافية.
- (3): بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بكورة تدمير، تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الشرق من قرطبة. انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م): معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م، ج١، ص٤٩٠. سيشار إليه فيما بعد: ياقوت الحموي، معجم البلدان.
- (4): المرية: مدينة على ساحل البحر المتوسط، بينها وبين مدينة قرطبة مسافة ثمانية أيام. انظر: الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٨ مجلدات، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩، مج٢، ص٥٥٨. سيشار إليه فيما بعد: الإدريسي، نزهة المشتاق.
- (5): الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت حوالي ٣٤٦هـ / ٩٥٧م): مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، مطابع دار القلم، القاهرة ١٩٦١م، ص٤٢. سيشار إليه فيما بعد: الإصطخري، مسالك الممالك.
- (6): ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي (عاش في القرن ٦هـ / ١٢م): قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمئة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج٢، نوفمبر ١٩٥٥م، ص٢٨٨. سيشار إليه فيما بعد: ابن غالب، فرحة الأنفس.
- (7): الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٤.
- (8): ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٤.

- (9): الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٤٢.
- (10): جبل الشارات: هو جبل يقع إلى الشمال من مدينة طليطلة، يمتد من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلمرية. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ٢، ص ٥٥٢.
- (11): المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ / ١٦٣١ م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م، مج ١، ص ١٦١. سيشار إليه فيما بعد: المقرئ، نفح الطيب.
- (12): ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٨.
- (13): مدينة سالم: تقع شمال شرق مدينة طليطلة، وتعد من أعظم المدن وأشرفها وأكثرها شجراً وماء، خربها طارق بن زياد عندما فتح الأندلس، فعمرت في الإسلام. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٢.
- (14): وادي الحجارة: مدينة بالأندلس، تقع إلى الشمال من طليطلة، وتبعد عنها مسافة خمسة وستون ميلاً. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ٢، ص ٥٧٢.
- (15): قونية: مدينة تقع إلى الغرب من طليطلة، على نهر التاجة، وكانت كبيرة إلا أنها خربت على يد الجلائقة النصارى. انظر: الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٤٣. لم يرد لها ذكر عند ياقوت الحموي والحميري.
- (16): طلبيرة: مدينة قديمة بالأندلس، تقع على نهر التاجة، تبعد عن طليطلة مسافة سبعون ميلاً. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٨٥.
- (17): ترجالة: مدينة بالأندلس كالحصن المنيع، تملكها النصارى عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٣.
- (18): العميرة، محمد نايف: مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ط ١، عمان ١٩٩٩م، ص ١٢٤. سيشار إليه فيما بعد: العميرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية.
- (19): بطليوس: مدينة جلييلة من إقليم ماردة، تقع في بسيط من الأرض، تبعد عن إشبيلية مسافة ستة أيام. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣.
- (20): سرقسطة: تقع شرق الأندلس، وتعرف بالمدينة البيضاء، أخذها النصارى من يد المسلمين سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٧.
- (21): قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس، يقع بين ليون ونبرة، وكانت عاصمته مدينة برغش، ثم نقلت إلى طليطلة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٥٢.

- (22): غرناطة: تقع في جنوب الأندلس، وهي من أقدم مدن كورة إلبيرة وأحسنها، تبعد عن قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٥.
- (23): زيدان، جرجي: فتح الأندلس، تقديم ودراسة: محمود علي مكّي، دار الهلال، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٦. سيشار إليه فيما بعد: زيدان، فتح الأندلس.
- (24): هو طارق بن زياد الليثي، أصله من البربر، أسلم على يد موسى بن نصير الذي ولاه قيادة الجيش الذي أرسله لفتح الأندلس، ونجح طارق في فتح معظم بلاد الأندلس، وتوفي سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ٨ أجزاء، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م، ص ٢١٧. سيشار إليه فيما بعد: الزركلي، الأعلام.
- (25): جليقية: من بلاد الروم المتاخمة للأندلس من الشمال، وتنتهي أحوازها من الغرب للبحر المحيط، وقاعدتها مدينة أقش. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٩.
- (26): الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١؛ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٤ أجزاء، ط ٢، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان؛ إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٠م، ج ٢، ص ١٧-١٨. سيشار إليه فيما بعد: ابن عذاري، البيان المغرب.
- (27): ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٩.
- (28): ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٨ أجزاء، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م، ج ٤، ص ١٦٢. سيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، العبر.
- (29): هو الخليفة أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر، ويعرف أيضاً بعبد الرحمن الثالث، وهو أول من تلقب بالخلافة بالأندلس، ويعتبر عهده من أزهى عصور الأندلس، توفي سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م. انظر: ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (عاش في النصف الثاني من القرن ١٢هـ / ١٢م): كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد ١٣، مدريد ١٩٦٥-١٩٦٦م، ص ٥٩-٦٢. سيشار إليه فيما بعد: ابن الكردبوس، الاكتفاء.

- (30): ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٢؛ دوزي، رينهارت: المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨، ص٦٠-٦٢، ٨٠-٨١. سيشار إليه فيما بعد: دوزي، المسلمون في الأندلس؛ حومد، أسعد: محنة العرب في الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٨م، ص٧٩. سيشار إليه فيما بعد: حومد، محنة العرب في الأندلس.
- (31): المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط١، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ٢٠٠٦م، ص٥٩-٦٠. سيشار إليه فيما بعد: المراكشي، المعجب.
- (32): ابن الخطيب، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): تاريخ إسبانية الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، ط٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦م، ص١٧٦-١٧٧. سيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب، أعمال الأعلام؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٦.
- (33): ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٧.
- (34): مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ط١، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط ٢٠٠٥م، ص١٣٣. سيشار إليه فيما بعد: مؤلف مجهول، مفاخر البربر.
- (35): هو أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، بويغ بالإمارة صبيحة وفاة أبوه، وكان أيمن الخلفاء بالأندلس ملكاً، توفي لليلة بقيت من صفر سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م. انظر: ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)، الحلة السيرة، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥م، ج١، ص١١٩. سيشار إليه فيما بعد: ابن الآبار، الحلة السيرة.
- (36): شنتبرية: مدينة وكورة حصينة وكبيرة، متصلة بحوز مدينة سالم، ولها حصون كثيرة، تبعد عن قرطبة مسافة ثمانون فرسخاً. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٦.
- (37): أقليش: مدينة في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كورة شنتبرية، بناها الفتح بن موسى بن ذي النون في مطلع عصر الإمارة الأموية بالأندلس. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٥١.

(38): ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ أقسام، ط١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩م، ق٤-مج١، ص٨٩. سيشار إليه فيما بعد: ابن بسام، الذخيرة؛ ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب، جزءان، ط٤، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة (د. ت)، ج٢، ص١١. سيشار إليه فيما بعد: ابن سعيد، المغرب؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٧؛ عنان، محمد عبدالله: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، وهو العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م، ص٩٥-٩٦. سيشار إليه فيما بعد: عنان، دول الطوائف.

(39): ابن بسام، الذخيرة، ق٤-مج١، ص٨٩.

(40): هو أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي، من أهل طليطلة، كان حافظاً للفقهاء، ذاكراً للمسائل، رحل للمشرق لطلب العلم، توفي في قلعة أيوب سنة ٤١٨هـ وقيل ٤١٩هـ / ١٠٢٦م. انظر: ابن الآبار، الحلة السراء، ج٢، ص٣٨؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١٠٨٣م): الصلة، ٣ أجزاء، ط١، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٩م، ج٣، ص٩٨٧. سيشار إليه فيما بعد: ابن بشكوال، الصلة.

(41): هو أحد أعضاء ورؤساء مجلس قيادة مدينة طليطلة في فترة الفتنة التي انتهت بسقوط الخلافة الأموية بالأندلس، ثم انفرد هو ابنه عبد الملك في حكم طليطلة ونواحيها خلال الفترة ٤١٨-٤٢٧هـ / ١٠٢٦-١٠٣٦م. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦.

(42): ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٧.

(43): ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٧؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٣٣.

(44): هو محمد بن أبي عبدالله بن أبي عامر المعافري، وفد إلى قرطبة في حادثة سنة وتعلم في جامعها، ولما آلت الخلافة لهشام المؤيد تولى له الحجابة، وأصبح هو الحاكم الحقيقي للأندلس، وعرف بكثرة غزواته وحروبه ضد النصارى، حيث كان له في كل عام غزوتان، توفي سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م. انظر: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٥٩-٨٣.

(45): قونكة: أو قونقة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بلنسية، وإلى الشرق من مدينة مجريط. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٥.

- (46): العمارة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٢٧.
- (47): جنجالة: حصن بالأندلس، يقع شمال مدينة مرسية. الحميري، الروض المعطار، ص ١٧٤.
- (48): مرسية: هي قاعدة كورة تدمير، بناها الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم، تبعه عن قرطبة عشر مراحل. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٩-٥٤٠.
- (49): هو أبو بكر يحيى بن سعيد بن أحمد الحديدي، اتصف بغزارة العلم ورجاحة العقل، وكان كبير الجماعة في طليطلة عند قيام دولة بني ذي النون، قتله القادر بن ذي النون غدرًا سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م. انظر: ابن بشكوال، ج ٣، ص ٩٦١-٩٦٢.
- (50): ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٧٧.
- (51): هو شانجة بن غرسية الملقب بالثالث أو الكبير، ورث الحكم عن والده سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م، وتلقب بملك أسبانيا، وتوفي سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م. انظر: الحجى، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م، ط ٢، دار القلم، دمشق ١٩٨١م، ص ٣٢٧. سيشار إليه فيما بعد: الحجى، التاريخ الأندلسي.
- (52): عنان، دول الطوائف، ص ٩٦؛ العمارة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٢٧.
- (53): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٤٣-١٤٥.
- (54): نعنعي، عبد المجيد: الإسلام في طليطلة، دار النهضة، بيروت (د.ت)، ص ١٢٧. سيشار إليه فيما بعد: نعنعي، الإسلام في طليطلة.
- (55): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٧.
- (56): ابن سعيد، المغرب، ج ٢، ص ١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٠٧.
- (57): هو سليمان بن محمد بن هود الجذامي، تغلب على حكم سرقسطة خلال الفترة ٤٣١-٤٣٨هـ / ١٠٣٩-١٠٤٦م). انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٠-١٧١.
- (58): هو المعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد، تولى حكم إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م، وتوفي سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٥٥؛ ابن الآبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٩-٤٠.
- (59): إشبيلية: تقع في الجزء الجنوبي الغربي من الأندلس، إلى الشرق من كورة لبلة، وإلى الغرب من قرطبة. انظر، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٢.

(60): هو المظفر محمد بن عبدالله بن محمد بن الألفس، تولى حكم مملكة بطليوس بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م، وتوفي سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م. انظر: ابن الآبار، الحلة السيرة، ج٢، ص٩٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٨٣-١٨٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٥.

(61): ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٨.

(62): خلف فرناندو الأول والده شانجة الثالث في حكم مملكة قشتالة وليون سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م، وتوفي سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م. انظر: الحجى، التاريخ الأندلسي، ص٣٢٧-٣٢٨.

(63): ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٨.

(64): لكي يضمن الشرعية على حكمه؛ ادعى القاضي إسماعيل بن عباد أول ملوك بني عباد في إشبيلية، أنه عثر على الخليفة الأموي هشام المؤيد سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م، فأخذ البيعة له ودعا ملوك الطوائف لتجديد مبايعته أيضاً، وظل بنو عباد يدعون له في خطبة الجمعة حتى نعه المعتضد بن عباد سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٩٧-٢٠٠.

(65): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٨؛ الحجاج، توفيق محمد: صفحات من تاريخ المدن الأندلسية، دار الضياء، عمان ٢٠٠٤م، ص٧١. سيشار إليه فيما بعد: الحجاج، صفحات.

(66): حومد، محنة العرب في الأندلس، ص١٠٠.

(67): هو غرسية بن شانجة الثالث، خصه والده قبل وفاته بحكم مملكة نافارا. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٢٨.

(68): عنان، دول الطوائف، ص٩٩.

(69): ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٠-٢٨١.

(70): الحجاج، صفحات، ص٧٣؛ العميرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص١٢٩.

(71): عنان، دول الطوائف، ص١٠٠.

(72): ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٢.

(73): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٧٨.

(74): قرطبة: تقع على نهر الوادي الكبير، وهي قاعدة الأندلس وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٦-٤٥٨.

(75): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٧٩.

- (76): ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص ١٣.
- (77): ابن بسام، الذخيرة، ق٤- مج١، ص ١٥٠.
- (78): هو أبو عامر بن الفرج، يعرف بذي الوزارتين، وهو من بيت رئاسة، قدم من بلنسية فوزر للمأمون ثم للقادر بن ذي النون. انظر: ابن الآبار، الحلة السيرة، ج٢، ص ١٧١-١٧٢؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص ٣٠٣-٣٠٤.
- (79): ابن بسام، الذخيرة، ق٤- مج١، ص ١٥٠-١٥١.
- (80): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٩.
- (81): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٧٩.
- (82): الحجاج، صفحات، ص ٧٥.
- (83): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨١.
- (84): عنان، دول الطوائف، ص ١٠٨؛ العمارة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٣٥.
- (85): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٢.
- (86): وبذة: حصن بالأندلس، تقع على واد بقرب أقليمش. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٧.
- (87): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨٠.
- (88): هو أبو محمد المتوكل على الله عمر بن محمد بن الأفتس، تولى حكم وفاة بطليوس بعد وفاة أخيه يحيى المنصور سنة ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م، ويعتبر أشهر ملوك الطوائف في أدبه وعلمه وشعره، قتل على يد المرابطين سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م. ابن الآبار، الحلة السيرة، ج٢، ص ٩٦-١٠٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨٥-١٨٦.
- (89): ابن بسام، الذخيرة، ق٤- مج١، ص ١٥٨-١٥٩.
- (90): سرية وقورية: من مدن قشتالة القديمة، وكانت ضمن بلدان الثغر الأعلى، ولعلها المعروفة اليوم باسم (Soria) و(Coria). انظر: مؤلف مجهول (عاش في القرن ١٤/٥هـ): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٧٩م، ص ٣٥. سيشار إليه فيما بعد: مؤلف مجهول، الحلل الموشية؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٣.
- (91): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٣.
- (92): ابن بسام، الذخيرة، ق٤- مج١، ص ١٦١.

(93): دوزي، رينهارت: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ط١، ترجمة: كامل كيلاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢م، ص ١٢٥. سيشار إليه فيما بعد: دوزي، ملوك الطوائف.

(94): قتالاش: قرية تقع إلى الشمال الشرقي من طليطلة في منطقة وادي الحجارة. انظر: ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٣.

(95): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٣.

(96): عنان، دول الطوائف، ص ١٠٩.

(97): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٢٩؛ العميرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١١٤.

(98): أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، جزءان، ترجمة وتعليق: محمد عبدالله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٤م، ج١، ص ٢٣. سيشار إليه فيما بعد: أشباخ، تاريخ الأندلس.

(99): عنان، دول الطوائف، ص ١٠٠؛ الحجاج، صفحات، ص ٦٩-٧٠.

Conde . M.J: Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal depuis l'invasion de ces peuples jusqu'à leur expulsion définitive. Paris. 1825. t2. p187.

(101): ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٣٢.

(102): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٣٠.

(103): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٢٥-٢٦.

(104): عبد الحليم، رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة (د.ت)، ص ٣٧٥-٣٧٦. سيشار إليه فيما بعد: عبد الحليم، العلاقات؛ العميرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٣٠.

(105): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٥٦؛ Conde, Histoire de la domination des Arabes, p193.

(106): هو المعتمد على الله محمد بن عباد، خلف والده المعتضد على حكم إشبيلية سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م، واستمر في الحكم حتى خلعه المرابطون ونفوه إلى أغمات سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م، وفيها توفي سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م. انظر: ابن الآبار، الحلة السيرة، ج٢، ص ٥٢-٦٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٥٩-١٦٤.

(107): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 178؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٠٧؛ عنان، دول الطوائف، ص ١٠٣.

(108): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٥٩-١٦٠.

(109): السحبياني، حمد بن صالح: الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم، عصر ملوك الطوائف أنموذجاً، ط ١، مجلة البيان، الرياض ٢٠٠٢م، ص ١٣٨. سيشار إليه فيما بعد: السحبياني، الضعف المعنوي.

(110): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٣.

(111): ابن سعيد، المغرب، ج ٢، ص ١٣.

(112): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٣-١٦٤.

(113): ابن بلقين، عبدالله بن بلقين بن زيري (ت بعد ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م): مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (٤٦٩-٤٨٣)، المسماة بكتاب "التيان"، نشر وتحقيق: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٥م، ص ٧٧. سيشار إليه فيما بعد: ابن بلقين، التيان.

(114): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٢-١٦٣.

(115): عبد الحليم، العلاقات، ص ٣٧٨؛ العمارة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٣٨.

(116): حومد، محنة العرب في الأندلس، ص ١١٣.

(117): بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص ١٢٧.

Florian. M: The Moors in Spain, the new werner company, Ohio 1910, p46-47.

(118): هو أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين المهري، أصله من قرية بشلب، صاحب المعتمد بن عباد منذ صباه، ولما آلت إليه مقاليد الحكم جعله وزيراً له، وكان له دور كبير في رسم علاقة إشبيلية بالممالك النصرانية، غير أنه لم يلبث أن انقلب على سيده المعتمد واستقل بمرسية، لكن المعتمد قبض عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م. انظر: ابن الآبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ١٣١-١٦٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٥٩-١٦٢؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٥-٩٧.

(119): ابن بلقين، التيان، ص ٦٩.

(120): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٠؛ حومد، محنة العرب في الأندلس، ص ١١٢-١١٣؛
Conde, Histoire de la domination des Arabes, p201-202.

(121): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٠.

(122): هو عبدالله بن بلقين بن باديس بن حبوس، الملك الثالث والأخير لمملكة غرناطة من
عائلة بني زيري الصنهاجية، اعتلى عرش غرناطة خلفاً لجدّه سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م،
حتى خلعه يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠، ونفاه إلى أغمات حيث بها توفي.
انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٣٣-٢٣٦.

(123): ابن بلقين، التبيان، ص ٦٩-٧٠؛ عبد الحليم، العلاقات، ص ٣٧٩.

(124): هو المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود، تولى حكم مملكة سرقسطة عقب وفاة أبيه
سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م، وكانت بينه وبين النصاري حروب عظيمة، توفي سنة ٤٧٤هـ /
١٠٨١م. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧١؛ ابن عذاري، البيان المغرب،
ج ٣، ص ٢٢٤-٢٣٢.

(125): برشلونة: مدينة للنصاري، تقع في شمال شرق اسبانيا على ساحل البحر المتوسط، بينها
وبين طركونة خمسون ميلاً. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٨٦-٨٧.

(126): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٢.

(127): تقع لاردة في ثغر الأندلس الشرقي، شرق مدينة وشقة، وهي مدينة قديمة. وتقع
طرطوشة جنوب لاردة، على بعد عشرين ميلاً من البحر المتوسط. أما دانية فتقع أيضاً
شرق الأندلس، على ساحل البحر المتوسط. انظر: الحميري، الروض المعطار،
ص ٢٣١-٢٣٢، ٣٩١، ٥٠٧.

(128): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٦.

(129): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٢.

(130): دوزي، ملوك الطوائف، ص ١٢٥.

(131): هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي اللمتوني، مؤسس دولة
المرابطين وباني مدينة مراكش، وأول من لقب بأمير المسلمين، توفي سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م.
انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص ٢٢٢.

(132): مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٣-٣٥.

(133): مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٦.

- (134): هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي، أصله من قرطبة، وولد بطليوس، ورحل للشرق طلباً للعلم، امتاز بعلمه الغزير ومصنفاته الكثيرة، وكانت وفاته بالمرية سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م. انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص ٣١٧-٣٢٠.
- (135): ابن الآبار، الحلة السرياء، ج٢، ص ٩٨.
- (136): الحجاج، صفحات، ص ٧٦؛ العمارة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٤٠.
- (137): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٤؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٣.
- (138): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٥.
- (139): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٤.
- (140): عنان، دول الطوائف، ص ١٠٠؛ حومد، محنة العرب في الأندلس، ص ١١٤.
- (141): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٤-١٦٥.
- (142): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٥.
- (143): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٦.
- (144): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨١-١٨٢.
- (145): عبد الحليم، العلاقات، ص ٣٧٩؛ حومد، محنة العرب في الأندلس، ص ١١٤.
- (146): ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ٢٠٧؛ Florian, The Moors in Spain, p47.
- Ayala. Carlos de, On The Origins of Crusading in The Peninsula: The Reign of Alfonso VI (1065-1109), Imago Temporis, Medium Aevum, VII 2013, p235.
- (147): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٥؛ عنان، دول الطوائف، ص ١١٣؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٤؛ نعنعي، الإسلام في طليطلة، ص ٣٠٣-٣٠٤؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص ١٢٦؛
- Ayala, On The Origins of Crusading in The Peninsula, p235.
- (148): ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صار، بيروت (د. ت)، ج ٥، ص ٢٧. سيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.
- (149): المقرئ، نفح الطيب، مج ٤، ص ٣٥٢، ٣٥٤.
- (150): الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
- (151): ابن بلقين، التبيين، ص ٧٧؛ ابن بسام، الذخيرة، ق ٤- مج ١، ص ١٦٧-١٦٨؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٥؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ /

١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، ١١ جزءاً، ط٤، راجعه وصححه : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ج٨، ص٤٣٩. سيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، الكامل في التاريخ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٣٨؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٥٧٣٣ / ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٧ جزءاً، تحقيق : حسين نصار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٨٣م، ج٢٣، ص٢٥٩. سيشار إليه فيما بعد: النويري، نهاية الأرب؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٧.

(152): بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص١٤٩؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص١٢٦؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص٦٤.

(153): السحبياني، الضعف المعنوي، ص٢٠٩-٢١٠؛ Ayala, On The Origins of Crusading in The Peninsula, p235.

(154): ابن بسام، الذخيرة، ق٤-مج١، ص١٦٧.

(155): الحججي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٤.

(156): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٨٧.

(157): ابن بسام، الذخيرة، ق٤-مج١، ص١٦٩.

(158): المقرئ، نفح الطيب، مج٤، ص٣٥٢.

(159): مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٣٨؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٨٩.

(160): أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص٦٤.

(161): ابن بلقين، التبيان، ص٧٧.

(162): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٣٠.

(163): الحججي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٢.

(164): النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢٥٩.

(165): المقرئ، نفح الطيب، مج٤، ص٣٥٢.

(166): ابن بلقين، التبيان، ص٧٣.

(167): مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٣٩.

(168): ابن بسام، الذخيرة، ق٤-مج١، ص١٦٧.

- (169): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٦-٨٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٣٠٤؛ ابن سعيد، المغرب، ج ٢، ص ٣٠٠؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٣٦٧-٣٦٨.
- (170): ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٣٠٥؛ ج ٤، ص ٣١-٣٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨٢، ٢٠٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٠٨.
- (171): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤-مج ١، ص ١٦٤-١٦٦؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٣٣٢.
- (172): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٨؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص ١٢٦.
- (173): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٨-٨٩.
- (174): ابن بسام، الذخيرة، ق ٤-مج ١، ص ١٦٩.
- (175): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٩.
- (176): ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٨٩-٩٠.
- (177): مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٥٦-٦٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٨٧-٢٩٢.
- (178): ابن سعيد، المغرب، ج ٢، ص ١١؛ المقرئ، نفح الطيب، مج ٤، ص ٣٥٢.
- (179): ابن الآبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٩٩.
- (180): الحميري، الروض المعطار، ص ٢٨٨-٢٨٩.
- (181): مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٥٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٨٩.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

- ١- ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، الحلة السيرة، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥م.
- ٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، ١١ جزءاً، ط ٤، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م.
- ٣- الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٨ مجلدات، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩.
- ٤- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت حوالي ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، مطابع دار القلم، القاهرة ١٩٦١م.
- ٥- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ أقسام، ط ١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩م.

- ٦- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١٠٨٣م): الصلة، ٣ أجزاء، ط١، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٩م.
- ٧- ابن بلقين، عبدالله بن بلقين بن زيري (ت بعد ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م): مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (٤٦٩-٤٨٣هـ)، المسماة بكتاب "التبيان"، نشر وتحقيق: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٥م.
- ٨- الحميري، محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م.
- ٩- ابن الخطيب، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): تاريخ إسبانية الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، ط٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦م.
- ١٠- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٨ أجزاء، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م.
- ١١- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صار، بيروت (د. ت).
- ١٢- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب، جزءان، ط٤، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة (د. ت).
- ١٣- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٤ أجزاء، ط٢، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان؛ إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٠م.
- ١٤- ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي (عاش في القرن ٦هـ / ١٢م): قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمئة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج٢، نوفمبر ١٩٥٥م.
- ١٥- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (عاش في النصف الثاني من القرن ٦هـ / ١٢م): كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد ١٣، مدريد ١٩٦٥-١٩٦٦م.

١٦- المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت ٥٦٤٧ / ١٢٥٠م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط١، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ٢٠٠٦م.

١٧- المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ / ١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

١٨- مؤلف مجهول (عاش في القرن ١٤/٥م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٧٩م.

١٩- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ط١، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقيق للطباعة والنشر، الرباط ٢٠٠٥م.

٢٠- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ / ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٧ جزءا، تحقيق: حسين نصار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٨٣م.

٢١- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله البغدادي (ت ٦٢٦ / ١٢٢٨م): معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م.

ب- المراجع العربية:

١- أشباح، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، جزآن، ترجمة وتعليق: محمد عبدالله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٤م.

٢- الحجاج، توفيق محمد: صفحات من تاريخ المدن الأندلسية، دار الضياء، عمان ٢٠٠٤م.

٣- الحججي، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م، ط٢، دار القلم، دمشق ١٩٨١م.

٤- حومد، أسعد: محنة العرب في الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٨م.

٥- دوزي، رينهارت:

- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ط١، ترجمة: كامل كيلاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢م.

- المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨.

٦- الزركلي، خير الدين: الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ٨ أجزاء، ط٨، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م.

سقوط مدينة طليطلة قاعدة الشجر الأوسط بالأندلس (678)

- ٧- زيدان، جرجي: فتح الأندلس، تقديم ودراسة: محمود علي مكّي، دار الهلال، القاهرة ١٩٨٤م.
- ٨- السحيباني، حمد بن صالح: الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم، عصر ملوك الطوائف أنموذجاً، ط١، مجلة البيان، الرياض ٢٠٠٢م.
- ٩- عبد الحليم، رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة (د.ت).
- ١٠- العميرة، محمد نايف: مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ط١، عمان ١٩٩٩م.
- ١١- عنان، محمد عبدالله: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، وهو العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م.
- ١٢- مؤنس، حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦م.
- ١٣- نعنعي، عبد المجيد: الإسلام في طليطلة، دار النهضة، بيروت (د.ت).

ج - المراجع الأجنبية:

- 1-Ayala. Carlos de, On The Origins of Crusading in The Peninsula: The Reign of Alfonso VI (1065-1109), Imago Temporis, Medium Aevum, VII 2013.
- 2- Conde .M.J: Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal depuis l'invasion de ces peuples jusqu'à leur expulsion définitive. Paris. 1825. t2.
- 3- Florian. M: The Moors in Spain, the new werner company, Ohio 1910.